الجزء الثاني

من

سلافة النديم

في منتخبات

المرحوم عبد الله افندي النديم

جمع شقيقه عبد الفتاح نديم

طبع على نفقة

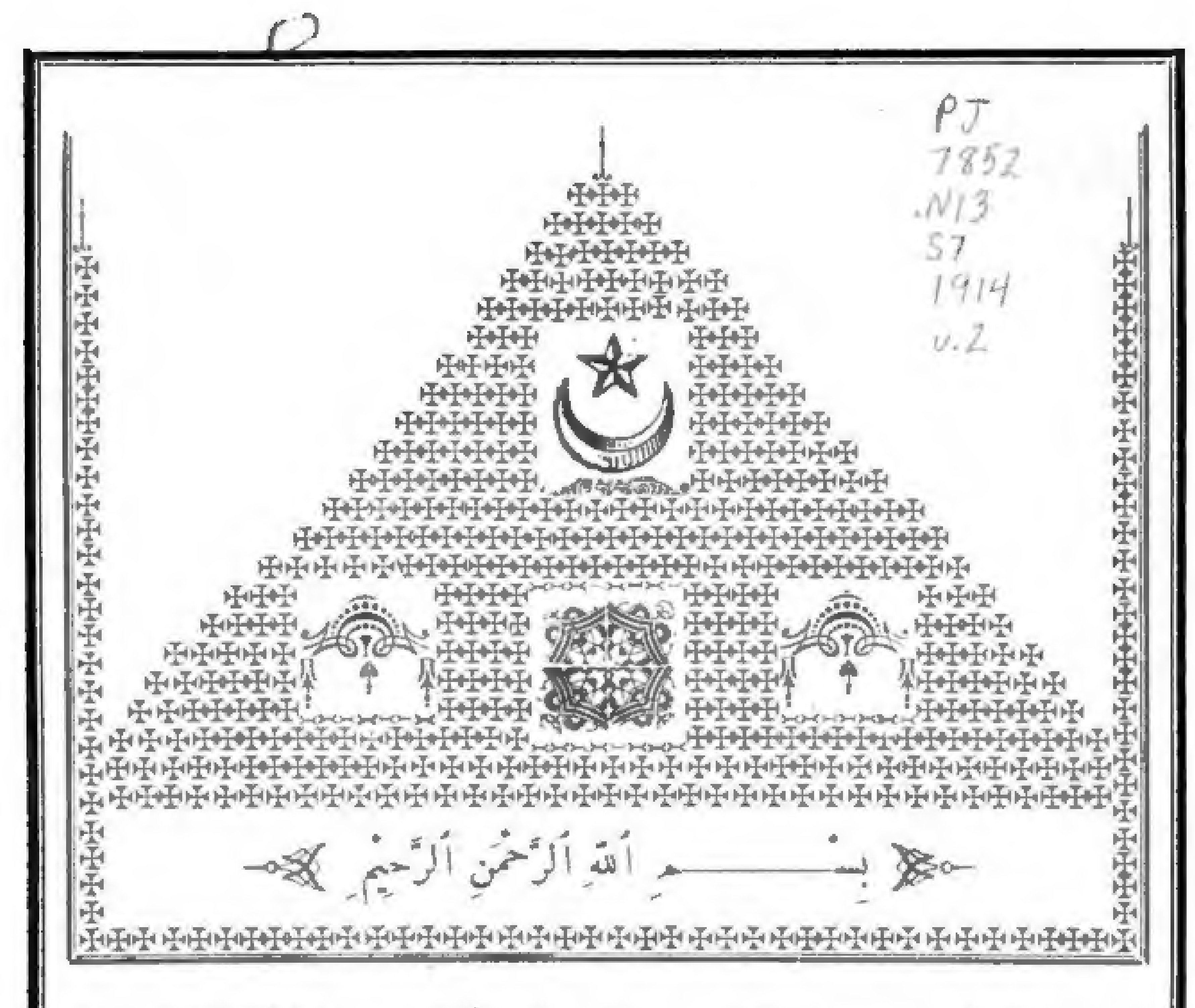
امين هنديه

طبع في مطبعة هنديه بشارع المهدي بالازبكيه بمصر

سنة ١٩٠١ - ١٣١٩







حسن ابتداء البديع * حمدا لله البديع * فانه مطلع الجلال * وبراعة الاستهلال * فله الحمد على نعمة الابداع * وتجنيس الانواع * اخترع الكون بلا توليد * ونسقه بلا مراجعة ولا ترديد * ووزعه بالاحتباك والترتيب * ورشحه للتهذيب والتأديب * ووشحه بالتفصيل ليندفع عنه الابهام * ورصعه بالتناسب للمشاكلة والاستخدام * وجزاءه بالازدواج فلا توهيم * ووازن بين افراده في الرفو والتسهيم * وطرزه بالمماثلة في الجمع والتفريق * وشمله باتساع رحمته فلا حصر ولا تضييق * استطرد الانشاء عن حكمة لا بالاتفاق * ودلى الارض ورقى السبع الطباق * تنزه عن الاعتراض والتعليل وتقدس عن التشبيه والتمثيل * اذ لا نظير يراعي استتباعه * ولا مقابل له تتغاير اوضاعه ولا سابق يستعان به على الايداع * ولا لاحق يستعير حسن الاتباع * ولا شيء يعاكسه في جمعه * ويتوارد معه في مثيل صنعه * خلق من كل شيء زوجين * واشتق فرائده من أصلين * وانفرد بالجمع والتقسيم بلا معارضه * واسبغ نعمه اقتداراً بلا استثناء ولا مناقضه * واستلفت الخلق الى نعيمه الجزيل * وحذرهم من عذابه بالانذار والتهويل *

واكد الامر بالتوبيخ والتقريع بلا اضمار * وخصص دار كرامته لاهل الاعتراف واضرب عن اهل الانكار * فقضله علينا مطلق تام * مركب من احسان وإنعام * علمنا اختصار الكلام بمحكم كتابه المنزه عن الاشباه * فاقتبسنا من فاتحته البسملة والحمد لله * وعطفنا على من فرق بين الطاعة والعصيان * وحسن في مدحه الاطناب والافتنان * وحصر في جزئي نوره كلي الوجود * واطرد بايضاح تصدير السعود * سيدنا ومولانا محمد من حسن به التخلق من ذلك المجاز * المنزهة بعثته عن الارداف وشريعته عن التمية والالغاز * فالتزمنا الصلاة عليه والتسليم * وكررناهما بالكلام الجامع مع التعظيم * ساجعين بجمع المؤتلف من الآل والاصحاب * ناشرين ما انطوى في بديع هذا الرحاب * فانه عنوان التتميم والتكميل * ونادرة الكون بلا تذييل * لا يتجاهل عارف بتشريعه * ولا يساوي باب مجده شيء في تصريعه * سلب بدينه الحق ما اوجبه السابقون * فلم يواربه معاصر ولا استدرك عليه اللاحقون * ائتلفت في كلامه المعاني والالفاظ * فاوغلت في جمع ما تفرق منه الحفاظ * بتمكين هداه فينا تشابهت الاطراف * فتجرد الشطر المقابل من التفويف والتنويف وتنسيق الاوصاف * لا يمدحنا في معرض الذم متهكم * ولا يفرع على تسميطنا متحكم * ولا يفوتنا في التعريض والتلميح الاحتراس * ولا يستحيل توسيع مجدنا بالانعكاس * فسرلنا ما اندمج من كل حد * فائتلفنا وتركنا الهزل بالجد * وعقدنا على سنته الخناصر في كل حال * وتوجهنا اليها بلا انتحال * واخذنا بقوله وموجبه * وتنورنا بكلامه ومذهبه * فقطوعنا به موصول * ومهملنا على كرمه محمول * وبراعة مطلبنا منه مأموله * واشارتنا اليه كناية عن السهوله * تخيرنا دينه بنكتة التعطف بلا توريه * ولا نشبه شيئين بل ولا شيئاً بسنته الزاهيه * فلم يبق لزوم لما يلزم * ولا لتاكيد المدح بما يشبه الذم * ولسنا ممن يهجون في معرض المدح * ولا ممن يرجعون بعد الاختصاص والمنح * مبالغتنا في مدحه ايناس * وغلونا فيه لدفع الالتباس * والتفاتنا الى غيره اغراق * وحكمنا بالتمني والمت اشفاق * وتلطفنا في حذف الغير ونفيه بايجابه * اكتفاء بالاقتصاص عن عتابه * تعديد محاسنه اعجز القوافي بل اللغات * وكيف لا وهو الممدوح بمحكم الآيات * المنزل عليه القرآن *

بالايجاز وحسن البيان * اقسم الله تعالى به في لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون * فانقطع عن المحجة المشبهون * واعترف الكل بنزولهم عن رتبته * وافتخروا بنسبة من يؤرخون بهجرته * فانتظموا في اتباعه بعد الطرد والعكس * وامنوا انقلاب الحال فطابت النفس وصلى عليه الانام بالانسجام * فتمحض لنا ولهم الخير في حسن الختام * فعليه الصلاة والسلام * وعلى آله وأصحابه الاعلام * مادام في الكون نسيم * وأنشد الناس قول النديم

محمد سيد الدنيا وضرتها * به يفاخر من يعزي له ملأه (قومه)
نور ترفع في الاكوان مرتقياً * فجاوز العرش لما بالصفا ملأه
لاباب يدخل منه للحبيب سوى * اهل الصفا الآل فاخصص بالولا ملأه (اشرافه)
واطمع به في رضا الرحمن متبعاً * آثار من يُعظم اللاجي به ملأه (طمعه)
وظن بالله خيراً كله ثقة * فالله للمرء دوماً عند ما ملأه (ظنه)

﴿ ومن بديعيته ﴾

في

﴿ حسن الابتداء ﴾

هذه تسمية واضع الفن ابو العباس عبد الله بن المعتز والمتأخرون قالوا ان كان البيت او السجع سهل المأخذ مركبا من كلمات مالوفة مؤتلفة غير متنافرة بلا حشو مجهولة قوالب لمعنى دقيق مقبول في الاذواق السليمة فهو براعة المطلع وان دخل فيه ما يدل على قصد الشاعر او الناثر الذي لا يعلم الا بالتخلص فهو براعة الاستهلال وقد اخترت تسمية الواضع فعنونت النوع بها وجمعت بينها وبين تسمية المتاخرين في مطلع بديعيتي

وقد مرّت العصور على البديعيين والشراح * وهم يشطحون في الكلام على براعة الافتتاح * ولم يتكلم واحد منهم على فاتحة الكلام القديم * ولا استشهد بها على حسن الابتداء العظيم * مع انها فاتحة العلوم * والرسوم * و براعة الفنون * والشؤن * ومبدا ما حوته النقول * ومطلع بدور العقول * جمعت ما تفرق في القرآن * بالتفصيل وحسن البيان * واشتملت على معظم الانواع البديعيه * والاجناس الكونيه * فهي احسن ما جاء

في حسن الابتداء * واولى ما يستشهد به للاقتداء * وساقدم الكلام عليها على كلام اهل البديعيات * والتزم ذلك في كل نوع له شاهد من الايات * فاقول ابتدا الله تعالى كلامه بقوله بسم الله فقدم الاسم العلم غير المشتق مع ان له اسماء كثيرة غيره تناسب الابتداء كاسمه المبدي والاول والفتاح والبديع ليكون ادل في البراعة على انه تعالى مغاير لخلقه كما انه اسمه مغاير لاسمائهم ووصف نفسه بوصفي الرحمة ليدل السامع بادئ بدء على لطفه وكرمه وعفوه وغفرانه وحصر جميع الكائنات في الصفتين فان الرحمن المنعم بعظيم النعم كالايمان والهداية والتبصر في التوحيد والتوفيق للطاعة ومكارم الاخلاق والاكل والشرب والحركة والسكون والنوم واليقظة والصحة والمرض وغيرها مما هو من لوازم الاشباح والارواح والرحيم المنعم بدقيق النعم كالنجاة والمغفرة والرضوان وغيرها مما هو من لوازم الارواح ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة فانطوى فيهما كل موجود ملكا وفلكا وكوكبا وانساً وجنا ونورا ونارا وروحا وجسما مجردا كان او بسيطا او مركبا او حيوانا او نباتا او معدنا عرضا كان او جوهرا فكلها مجالة بنعمة الايجاد وتقدير الكم والكيف وتمييز الصورة فاذا انتهى السامع من البسملة وتمعن فيما اشتملت عليه علم انه تعالى يستحق الحمد لذاته فلذا قال بعدها الحمد لله واختار الحمد على المدح لان المدح لا يكون غالبا الا قبل الانعام والحمد لا يكون الا بعده فاشعر بذلك انه قضا وقدر وانشاء واحكم وفطر وابدع وحفظ وتكفل وتفضل وتكرم وشمل كل موجود بنعمه الظاهرة والباطنة وقدر امره في النشأتين وفرغ من ذلك قبل خلق الخلق فلم يبق الا ان يحمد على تفضله واحسانه واعاد اسم الذات ظاهراً بعد ذكره في البسملة اشارة الى انه تعالى ظاهر لا يخفى على مخلوق وانما يحجب من اضله وارداه وابعده عن ابواب رحمته فاعمى بصيرته ورنق فهمه وختم على قلبه وليكون الاسم مبدوءاً به عند من يرى ان البسملة ليست آية من الفاتحة وحجتنا معاشر الشافعية على انها آية من كل سورة بعد الاحاديث الواردة في الفاتحة ثبوتها في المصاحف العثمانية في اول كل سورة غير براءة ولم ينكر احد من الصحابة على كتاب المصاحف فلو كانت ليست آية من كل سورة لصدق على كتبة المصاحف انهم زادوا في القرآن مائة وثلاث

عشرة اية ليست منه ولا قائل بهذا وقد انقضى عهد الصحابة وجاء التابعون على أثرهم ولم يغير احد منهم في المصاحف شيئاً ولا انكر على كتبتها اثبات البسملة في اوائل السور ولما خصص ذاته العلية بالحمد اشتاقت النفس لمعرفته بصفاته وآثاره او اراد ان يظهر عظمته وجلاله ومجده وانفراده بتربية العوالم وخلقها فقال ربِّ اي مالك ومربي العالمين اي كل ما سواه من الثقلين وما في الكونين والنشئتين فانطوى في هذه الفاصلة خبر كل موجود وقصته وتاريخ حياته ووجوده بمقتضياته وما ينتابه ويطراء عليه من وجود وعدم وجوع وشبع وظماء وري ومرض وصحة ونوم ويقظة وحركة وسكون وجهل وعلم وكفر وايمان وفقر وغنى وعز وذل ونصر وخذلان وسير وحط وربح وخسارة ورفعة وضعة وضيق وسعة وذكاء وغباوة وفصاحة وعي وجمال وقبح وظهور وخفاء وضعف وقوة وخوف وثبات ونور وظلمة واستقامة واعوجاج وجريان ووقوف وتقابل وتنافر وتناسب وتضاد وتوسط وانحراف وغير ذلك مما هو من شؤن الحوادث فانطوى في لفظ العالمين ما لا تسعه كتب ولا تحصيه كتاب ولا يقدره فكر ولا تحيط به العقول ثم اعاد الوصفين الجليلين الرحمن الرحيم إشارة لاتساع رحمته وعظمها الى حد ان يمحو كفر الكافر وذنب المجرم وان حارباه بالكفر والمعاصي دهوراً واستدل القائلون بان البسملة ليست من الفاتحة بهذين الاسمين وقالوا لوكانت من الفاتحة لكان اعادتهما بعد ذكرهما في البسملة تكراراً وليس كذلك فانه لما ذكر ان البدء لايكون الا باسم الله تعالى ذكرهما هنالك دليلاً على وجوب الابتدا باسمه لكونه المنعم بالنعم ولما ذكر الحمد وخصصه بذاته تعالى ذكرهما دليلاً على تفضله لكونه مربي العالمين فجيئهما في الفاتحة لغير ما جاء آله في البسملة فهما من نوع الترديد لامن نوع التكرار الخالي عن المعنى . والى هنا يقف العقل ولا يرى من العوالم غير ما اخبر الله تعالى عنه من العالمين العلوي والسفلي فنبهنا على ان هنالك نشئة أخرى هي نشئة الجزاء ان خيراً فخير وان شراً فشر وانه هو الذي يملك هذا اليوم بما فيه ملك انشاء وتصرف كما ملك العالمين وربام في دار العمل فقال مالك يوم الدين فانطوى فيه كل ما كان متعلقاً بالآخرة من حساب وخطاب ونعيم وعذاب ورضى وغضب ووزن وعرض وشفاعة فيعلم كل فرد

من افراد العوالم وما عمله وما قاله وما ينتهي اليه امره من الكليات والجزئيات . والى
هنا انتهى الله تعالى من الاخبار عن الكائنات وطوارئها وما قدره في العالمين والنشئتين
مما لوكان البحر مداداً لحصر كلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مددا وكل ذلك تم في ثلاث فواصل تشتمل على ثمان كلمات كل القرآن
الكريم تفسير لها وتفصيل وتميم وتكميل وايضاح وبسط وتذييل ولما كان المقام مقام مدح
التزم فيه الاخبار بالجملة الخبرية لان المدح في الغيبة احلى واكمل واوقع في النفس واقرب
للقبول ولما انتقل الى مقام الدعاء وتعليمه التفت من الغيبة الى الخطاب لانه مقام رجاء
والتماس فقال اياك نعبد أي نخصك بالعبادة دون غيرك والعبادة تستدعي بيان اجناسها
وانواعها واصولها وفروعها والصحيح منها والفاسد والحق والباطل والمقبول والمردود وما كان
من شؤن الانسان وما كان من شؤن الحيوان وما كان من شؤن الملك وما كان من
شؤن الجن وما كان من شؤن الجماد والنبات فانطوى تحت هذه الجملة جميع علوم الاصول
والفقه والتفسير والحديث والتصوف والآلات الموصلة اليها كما انطوى فيها بيان
الاديان وتمييز الحق من الباطل منها وتعريف فرق العالم ومذاهبهم والى هنا يظن العبد
ان الذي يلزمه معرفته والايمان به هو ما اخبر الله تعالى عنه من اول الفاتحة الى هنا وان
ما عدا ذلك من الاقوال والافعال يأتي بها العبد من نفسه فلدفع هذا الظن الفاسد
قال واياك نستعين اي نخصك بطلب المعونة على كل شئ قوليا او فعليا فانتفى عن
ذهن العبد ظنه القدرة على خلق افعال نفسه وثبت لديه انها لا تحصل ولا يتمكن من
الاتيان بها الا باستعانته بخالقه ومربيه المالك في الدنيا والآخرة المتفضل بالخلق والرزق
والنطق والعقل قبل ان يكون له اختيار يبعثه على الاقوال والافعال فكما لا يعبد الا هو
لا يستعان الا به ولما كانت العبادة شاملة لكل ما يسميه الانسان عبادة حقا كان او باطلا
كما قدمنا وكانت العبادة لا يخص بها الا الله تعالى والاستعانة لا تطلب الا منه
وجب على الانسان ان يطلب الهداية الى الدين الحق منه كما استعان به في جميع شؤنه
فعلمنا كيفية الدعاء وطلب الهداية بقوله تعالى اهدنا اي ارزقنا الدلالة الموصلة للمعرفة
حتى نسلك الصراط المستقيم المنهاج الواضح الذي لا اعوجاج فيه وهذا يقضي ببيان

جميع طرق الهداية لتسلك وطرق الغواية لتجتنب وتترك ولا يكون ذلك الا ببيان الاوامر والنواهي والرغائب والزواجر ولما كان كل متمسك بدين يدعي انه على الصراط المستقيم وكان لا بد لنا من معرفة الصراط الموصل الى الحق سبحانه وتعالى قال مبيناً له صراط الذين انعمت عليهم وانواع الانعام كثيرة فان منها نعمة الخلق ونعمة الرزق ونعمة فتق الحواس ونعمة الحفظ من الطوارق ونعمة الحركة والسكون ونعمة الادراك والتميز وهذه مشتركة بين المؤمن والكافر والصالح والطالح فبين لنا ان المراد بنعمة اهل الصراط المستقيم نعمة الايمان والتوفيق للعمل الصالح وارشدنا الى ذلك بالاستثناء حيث قال غير المغضوب عليهم بسبب معصية اوكفر مع علمهم بالكتب ومهابطها وبلوغهم دعوتهم ثم زاد المستثنى ايضاحا وذيله بقوله تعالى ولا الضالين الذين فسقوا بعد علم اوكفر بعد ايمان بشبهة عقلية او نزغة شيطانية فما قدمته لك تعلم ان علوم القرآن كلها جمعت في الفاتحة بالبيان والتفصيل فانك اذا قرأت سور القرآن سورة سورة وطالعت كتب التفسير وطبقت ما فيها على ما قدمته من التفسير رايت تلك العلوم في الفاتحة وليس في طوق البشر ان يأتوا بفاتحة كلماتها خمس وعشرون كلمة يقصون فيها اخبار السابقين واحوال اللاحقين وشؤن العالمين واحوال النشئتين ويسردون فيها جميع العلوم والمذاهب كهذه الفاتحة الشريفة فانها تنزيل من حكيم حميد ولنأت على بعض ما فيها من الانواع البديعية فنقول. فيها حسن الابتدا وتقدم بيانه وبذكر اسم الذات واتباعه بصفتي الرحمن الرحيم اشتمل على براعة المطلع فان هذه الاسماء سهلة متناسبة مؤتلفة واشتمل كذلك على براعة الاستهلال فان ابتداءه باسم الذات يشير الى انه آله حق خارج عن سلسلة الكائنات موجد لغيره متصف بصفة الوجود والقدم والبقاء الى اخر صفاته الجميلة واتباعه بالرحمن والرحيم اشارة الى انه قابل التوب كثير الاحسان واهب للغفران متفضل بالرحمة كما انه متصف بضدها وهو الغضب والقدرة على التعذيب والبطش والانتقام فاشتملت البسملة او الحمدلة على حسن الابتدا بقسميه وتنسيق الصفات في رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والفرائد في رب العالمين فانه لا يقوم مقامها غيرها والنوادر في نعبد ونستعين فان العبادة والاستعانة مشتهرتان

ولكن لما قرنتا باياك التخصيصية انتقلنا من الاطلاق الى التقييد والالتفات في الانتقال من الغيبة الى الخطاب والاختصاص في رب العالمين اذ لا يشاركه غيره في هذه الصفة والفخر في البدء باسمه وحمده وبكونه رب العالمين ومالك يوم الدين والافتنان فانه امتن على العباد بانه الرحمن الرحيم ثم حذرهم من غضبه وانتقامه بما لك يوم الدين والسجع في مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين والايجاز في جميع فواصلها فان كل فاصلة تحتها معان شتى كما قدمنا والسهولة فان كل الفاظها خالية من الحشو والتعقيد والانسجام فان تركيبها يكاد يسيل رقة والتعريض في غير المغضوب عليهم فانه تعريض بالمصرح بالغضب عليهم في قوله تعالى ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى والكناية في ولا الضالين فانه كناية عن فرق المغايرين للدين و الذين اشركوا والزائغين بالشبه العقلية والاشتقاق في الرحمن الرحيم فانهما مشتقان من الرحمة والاستثناء في غير المغضوب عليهم والجناس التام في عليهم وعليهم فان الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية والبسط في اهدنا الصراط المستقيم فقد بسطه بقوله صراط الذين الى آخرها والترتيب في اول السورة الى الدين فانه اخبر عن وجوده الذاتي اولاً وثنى بالعوالم وتربيته لها في النشئة الاولى وثلث بانه منعم بالنعم العظيمة والدقيقة وبالنشئة الآخرة وتوليه أمر الجزاء كما تولى امر العمل في الدنيا وهو ترتيب بديع والابداع فقد اشتملت الفاتحة على خمسة وسبعين نوعاً من البديع والمناسبة في رب ومالك والطباق في الذين أنعمت عليهم وغير المغضوب عليهم والاشارة في رب العالمين ومالك يوم الدين فانه عبر عن أمور كثيرة وشؤن شتى والتمثيل في انعمت عليهم وغير المغضوب عليهم والضالين فانه عبر عن فريق المؤمنين بالمنعم عليهم وعن فريقي الكافرين والمنافقين بالمغضوب عليهم والضالين بغير الالفاظ الموضوعة لهذه المعاني والارداف في واياك نستعين فانه عبر عن نسبة خلق الافعال اليه بما يرادفه وهو الاستعانة به والمجاز في الصراط وصراط فان المقصود بهما الدين الحق وعدل عنه الى الطريق المستقيم والاحتراس في ولا الضالين بعد المغضوب عليهم وائتلاف المعنى بالمعنى فان جميع معانيها متلاصقة بعضها ببعض بلا تنافر بينها وائتلاف اللفظ والمعنى وهذا أمر ظاهر لايحتاج الى

بيان وائتلاف اللفظ واللفظ فان كل كلمة من كلماتها لا يقوم غيرها مقامها وحسن البيان
فان السامع لا يتوقف في معرفة المعنى ولا يشكل عليه شيء وبراعة المطلب في اياك نعبد
واياك نستعين فانه بعد ان تعرف لخلقه بصفاته طلب منهم ان يعبدوه ويستعينوا به
و يطلبوا الهداية منه والترديد في اياك نعبد واياك نستعين والصراط وصراط والتفسير في
صراط الذين الى آخرها فانه تفسير للصراط المستقيم والاطناب في رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين والتنكيت في المغضوب عليهم والضالين فان كثيراً من الالفاظ
يقوم مقامها ولكن لا يؤدى المعنى المقصود منها والاتساع في المغضوب عليهم والضالين
فان علماء التفسير توسعوا في تفسيرها على اقوال ومعان شتى والتهذيب والتأديب فان
جميع آيات السورة مهذبة منقحة خالية من الحشو والتقديم والتأخير والاستتباع في الذين
انعمت عليهم المستتبع بغير المغضوب عليهم ولا الضالين والمماثلة في العالمين ونستعين
والمستقيم ومراعاة النظير في اهدنا الصراط المستقيم فان الصراط والاستقامة يناسبان
الهداية والتدلي في الرحمن الرحيم فان الرحمن المنعم بالنعم العظيمة والرحيم المنعم بالنعم
الصغيرة فتدلى من الاكبر الى الاصغر والترقي في غير المغضوب عليهم والضالين فانه
ترقى من الشديد في الغواية الى الاشد وحصر الجزئي والحاقه بالكلي في رب العالمين
ومالك يوم الدين فانه حصر الانواع والاجناس في كل منهما وجعله جنساً عالياً تحته
انواع واصناف فان السامع اذا سمع رب العالمين ومالك يوم الدين ظن انه ربما عبد
غيره او استعين به او طلبت منه الهداية فقال اياك نعبد الى آخرها فانحصرت الجزئيات
والتحقت بالكليات والعنوان في الذين انعمت عليهم فانه يشير الى الانبياء واتباعهم من
بين الخلق والايضاح في بقية السورة بعد رب العالمين والحذف فانه أثبت في السورة
حروف المعجم وحذف منها ف ج ش ث ظ خ ز من بين الحروف والتوليد فان الذين
أنعمت عليهم كالمولد من قوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا انما قلنا كالتوليد لان حقيقة التوليد ان يولد
الانسان معنى من كلام الغير وليس قبل القديم شيء ولا هناك من يماثله حتى يولد من
كلامه فكلامه تعالى يتولد بعضه من بعض والمساواة فان كل الفاظها مساوية لمعانيها

لا تزيد ولا تنقص والتسهيم في ولا الضالين بعد المغضوب عليهم فان من قراء غير المغضوب عليهم وأراد عطف غيرهم عليهم لا يجد غير الضالين وحسن التخلص في اياك نعبد واياك نستعين فانه بعد ماذكر اختصاصه بالحمد ووصف نفسه بانه رب العالمين وانه الرحمن الرحيم وانه مالك يوم الدين صار هذا الكلام دخولاً على المقصود من خلق العوالم التي تعرف اليها وهو عبادتهم له واستعانتهم به والتعديد في رب والرحمن والرحيم ومالك والتعرف فانه تعرف لخلقه بانه الاله رب العالمين الى الدين والادماج فانه في إياك نعبد و إياك نستعين ادمج طلبهم الثبات على العقائد وقوتهم على الطاعة وحفظهم من نزغات الشياطين وفي اهدنا الصراط ادمج طلبهم النجاة من عذاب الآخرة وشمولهم بالرحمة والرضوان والاستعارة في الصراط فانه حقيقة في الطريق الموصل الى المقصود وعلاقته هنا المشابهة فان الصراط كما يوصل الى المكان المقصود كذلك الدين يوصل الى النجاة ورضا الرحمن والنزاهة فان غير المغضوب عليهم ولا الضالين هجو عظيم خال من الفاظ الفحش والوقاحة والاستطراد في وإياك نستعين واهدنا الصراط فانه انتقل من طلب الاستعانة به الى ما يشاكله وهو طلب الهداية ثم رجع الى الاول بقوله أنعمت عليهم فان المنعم عليهم هم الذين استعانوا به والاحتباك في أنعمت عليهم والمغضوب عليهم فانه لما أثبت الانعام في جانب الاتقياء حذف الرضوان لدلالة الانعام عليه ولما أثبت الغضب في جانب الفساق والكفار حذف الحرمان لدلالة الغضب عليه فكان النظم هكذا أنعمت عليهم فرضيت عنهم غير من غضبت عليهم فحرمتهم فحذف من كلٍ ما أثبته في الآخر وحسن النسق في إياك نعبد وإياك نستعين فان الجملتين معطوفتان عطفاً متلاحماً مستحسناً والتمكين في التسجيع بنستعين في مقابلة الدين فان قوله إياك نعبد تمهيد لنستعين فجاءت بعده فاصلة مستقرة في محلها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بالسجعة قبلها والايغال في الضالين فانه لو ختم السورة بقوله غير المغضوب عليهم لكان كلاماً تاماً فاتى بالضالين ليعم الاستثناء في الكافر والفاسق والتقسيم في صراط الذين أنعمت عليهم الى آخرها فان الانسان اما مؤمن أو مؤمن عاص أو كافر وقد استوفت الآية الاقسام الثلاثة فالطائع في أنعمت عليهم والعاصي

في الضالين والكافر في المغضوب عليهم والتكميل في صراط الذين بعد الصراط المستقيم فانه لم يتميز من طريق المغضوب عليهم والضالين الا بهذه الزيادة والتتميم في الرحمن الرحيم بعد رب العالمين فان جملة رب العالمين لاتوهم غير المراد فجيء بالرحمن الرحيم لنكتة المبالغة في رحمته من عصاه اذا تاب بالمغفرة ورحمته من كفر به برزقه واحيائه وحفظه الى أجله المعلوم والتغليب في الذين أنعمت عليهم فانه تلميح لفريق الانبياء وغلب على كل مؤمن تشريفاً له بمن تبعه والتأكيد في وإياك بعد إياك الاولى ولزوم مالايلزم في الدين ونستعين فانه بنى الفاصلة الثانية على الياء والنون كالاولى ولم يبنها على الواو والنون او الالف والنون وتأكيد الذم بالذم في ولا الضالين بعد المغضوب عليهم والاستخدام في الدين فان لفظ الدين يطلق على القضاء والحساب والحكم والقهر والعبادة والتوحيد والاسلام والاستعلاء والذل والمعصية فقال مالك يوم الدين أي القضاء والحكم والحساب ثم استخدمه في التوحيد في قوله إياك نعبد وفي العبادة في قوله وإياك نستعين وفي الاسلام في قوله اهدنا الصراط المستقيم وفي الاستعلاء في قوله انعمت عليهم وفي الذل في قوله المغضوب عليهم وفي المعصية والقهر في قوله الضالين ففي كل جملة ضمير يرجع الى الدين الملوك له بمعنى غير الآخر فاستخدم اللفظ الواحد في سبعة معان وليس ذلك في طوق البشر (واللف والنشر المرتب) فان إياك نعبد راجع لرب العالمين اذ لا يعبد الا الرب واياك نستعين راجع للرحمن الرحيم اذ لايستعان الا بمن اتصف بالرحمة والاحسان واهدنا الصراط الى آخرها راجع لمالك يوم الدين اذ لاتطلب الهداية الا ممن ملك أمر المنعم والمعذب (وسلامة الاختراع) فان معاني السورة وكلماتها قديمة لم يسبق الله تعالى سابق بمثلها اذ ليس قبله شيء وليس كمثله شيء (والابهام) في الدين فانه يطلق على الطاعة والمعصية وهو اشارة الى انه تعالى خالق للخير والشر (والاشتراك) في الدين أيضاً فانه مشترك في المعاني المتقدمة وقد ميز كل معنى بفاصلة كما قدمنا في الاستخدام (والاطراد) في لله رب العالمين الى الدين فانه ذكر الاسم الخاص به والصفات المميزة له وليس لله تعالى والد فيذكر بجانب اسمه تنزهت ذاته العلية عن ذلك لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (وتشابه الاطراف) فان افتتاح السورة

بانه رب العالمين يناسبه أن يكون آخرها تقسيم الخلق الى طائع وعاص وكافر وان صح
ان آمين من الفاتحة كانت حسن ختام والصحيح انها ليست قرآناً فانها لم تثبت في
المصاحف العثمانية فقد اشتملت هذه الفاتحة المباركة على خمسة وسبعين نوعاً من أعلى
أنواع البديع وأغلاها وهذا القدر استخرجته بفكري القاصر وذهني الفاتر وقت الكتابة
فلو تأملها خبير خال من الشواغل والمكدرات واعطاها فكره وعقله لرأى بقية الانواع
فيها ماعدا التي من خصائص الشعر كالتصريع والتجزئة والتسميط والترصيع والتشريع
وغيرها ولم يسبقني سابق من المفسرين ولا البديعيين لاستخراج أنواع الفاتحة فانا بفضل
الله تعالى اول داخل لهذا الميدان وفاتح لهذا الباب وليس في وسع العوالم ان تدمج خمسة
وسبعين نوعاً في فاتحة قصيرة كهذه فحق لله تعالى أن يقول لئن اجتمعت الانس والجن
على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا فقد مضى ثمان
عشرة وثلثمائة والف سنة من البعثة المحمدية الشريفة الى عامنا هذا الذي هو عام ستة
وثلثمائة والف وهو منتصب للمعارضة وقد تقلبت بين يديه عصور البلغاء وقرون الفصحاء
وأيام النبهاء وسني الحكماء وهو هو حلاوة وطلاوة وبهجة ونوراً مانبغ نابغ في
معارضته ولا بلغ بليغ غوص معانيه ولا أفصح فصيح عن شيء يذكر في جانبه بمد
المحادة وفرق الخلق وطوائفهم متهافتون عليه على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وكل
يلتمس منه حجة او يطلب منه دليلاً ويمارض الآخذ منه به ويرد لمخالف له اليه وكل
فصيح منه يستمد * وكل بليغ عليه يعتمد * فهو قاموس اللغة وكتاب الحكمة وخزانة
العلوم وانموذج الفصاحة فسبحان القادر المبدع الحكيم الممتن على عباده بقوله ما فرطنا
في الكتاب من شيء ثم هو المعجزة الكبرى التي لايخلقها مر الدهور ولا يبليها توالي
العصور وحي حق وكلام صدق لاهو من الشعر ولا الشعر منه ان هو الا ذكر
وقرآن مبين

في معاملة الوالدين

اعلم أيها الانسان ان أباك من وضعك في رحم أمك وأمك من حملتك ومن أرضعتك معها ولوالديك حقوق واجبة عليك منها شرعية ومنها انسانية ومنها كمالية نعزجها اليك مرتبطة ونقدم لك عليها مثالاً تتدرج به الى معرفة مقامهما ثم نردفه بما لا بد منه من واجباتهما اذ الاستقصاء يملك ويرجعك الى مقام التقصير او الترك بالكلية . تعلم ان مظهر حياتك يقضي عليك بركوب اصعب الطرق واسهلها في مقتضياته وضروراته ومن مقتضياته حوائجك عند الناس فنفرض ان قد عنت لك حاجة عند أمير فاذا نظرنا في معاملتك له حتى تصل اليه وتحصلها رأينا انك تبذل نقدك وسعيك في تعرف اتباعه والوصول اليهم وتستعمل جميع الوسائل التي تراها واجبة لهم من تقبيل ايد او ارجل او اعتاب او اطراف ثياب وتكلف الادب والخشوع والخضوع وتظهر أحسن الطاعة والانقياد وتضرع بعبارات المسكنة والاحتياج والذلة وتلهج بكلمات الثناء والمدح والغلو في الاطراء ولا تزال بهم رجاء واستعطافاً حتى تتمكن منهم وتطلب الوصول الى الامير فاذا أجيبت لبست أحسن ثيابك وأصلحت شمث ذاتك ودخلت ساكتاً غاض الطرف مطرق الرأس ووقفت صاف القدمين واليدين ساكناً ثابتاً فاذا حييته بما يهوى واذنك بالجلوس جلست على بعد منه على اطراف اليك ان كنت على كرسي او على ركبتيك ان كنت على الارض مفروشة او غير مفروشة ثم تجرد قلبك وفكرك من كل الشواغل وتحصر الوجود ومظاهره في ذاته وما يلقيه عليك فاذا سألك خفضت صوتك في الجواب واوجزت لفظك وتحريت الفاظ التعظيم وعبارات الاحترام وتوقيت الكذب وسقط الكلام والاطناب في العبارة وعبرت في جانبك بالعبد الذليل وفي جانبه بالسيد الاميرفان نسب اليك قولاً بديعاً او عملاً جيلاً اعدته اليه وجعلته مصوره ومرجع فضله وان اعتذر اليك عن سقطة من سقطاته نسبتها اليك وبراءته منها والتمست له مسوغات من كلام أهل البدع والضلالات فان تحرك وهو جالس اسرعت بالقيام فلا تجلس حتى يعاودك الاذن

وان قام مشيت خلفه وجعلت قلبك وسمعك وبصرك وقفاً على حركاته وسكناته
لايصرفك عنه صارف فان أعطاك ماطلبت وكان حقاً لك قبلت الارض والاقدام
والاطراف وجعلته من فضله واحسانه مع عدم استحقاقك له الا بعنايته ورعايته وخرجت
حامداً شاكراً مثنياً بعبارات تعليه بها الى حيث ينتهي التعظيم وان منعك ماهو لك
جعلت ذلك من عدله وقبلت الارض والاقدام وانت تطريه بانه من الخلفاء الراشدين
والأئمة المقسطين وخرجت متقهقراً لايفتر لسانك عن مدحه حتى تغيب عن نظره
ويعود اليك حسك وادراكك بالكائنات غيره ثم لاتنطق بكلمة قدحاً فيه او في عمله
لوساءلك سائل على ملتقاك معه وتكل الامور الى المقادير وتيسير الله تعالى بعد
انقطاع وسائلك التي انصرفت بها عن جانب الحق سبحانه وتعالى فاذا كان هذا شأنك
في معاملة رجل لايملك لك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا فضل له
عليك في ايجاد او تربية او خدمة فما بالك بمن كانا واسطة في انتقالك من العدم الى
الوجود بعد ان كنت لاذاتاً ولا ذكراً وسبباً في تاهلك لمظاهر حياتك التي منها حاجة
هذا الامير من لذائذ المتناولات والمدركات والمملوكات اظنك لو تفكرت فيهما اقل
فكر لعلمت ان الله تعالى جعل في مباضعتهما اسراراً لايحتملها عقلك وانزلهما منزلة ليس
فوقها منزلة من منازل الفضل اذ أودع في ماء الاب سر التصوير والتخطيط والتشكيل
وفي رحم الام سر التطوير والتكوين والتنمية وخالف بك في مجيئك من ظهر أبيك
وصدر أمك واسكانك في رحمها ليجعل لك مدبرين أحدهما في شدة تنمك من البهيميات
تناسب شدة الظهر وصلابته وثانيهما في رحمة تمنع عنك ماتلقاه من شدة الآخر تناسب
رقة البطن ولطف الترائب وتربيتك بين الاحشاء بخلاصة من خلاصات غذائها فاذا
احللتهما محلهما علمت انك لو صرفت عمرك في خدمتهما والانفاق عليهما وانصرفت عن
لذائذك ومالوفك وانقطعت عن الخلق وتلهيت بهما عن مظاهر الدنيا وزينتها
وحصرت رجاءك في رضاهما واملك في استعطافهما وعملك في مرضاتهما وجعلتهما بين
عينيك في حركاتك وسكناتك ويقظتك ونومك وجعلت جفنيك وقاية لهما واسكنتهما
في محاجرك بدل مقلتيك ما قمت بواجب من واجباتهما ولا قضيت فرضا من

فروضهما لوجود الفارق العظيم بين فعلك معهما وفعلهما معك فانهما كانا يسهران بسهرك ويحزنان لبكائك ويتنازلان اليك من مقام العظمة والاعتبار الى مقام الطفولية ليوانساك بما تهوى ويسلياك بما تحب ويخاطباك بما تألف ويداعباك بما تريد ثم يميطان عنك الاذى بلا استكراه ولا انفة بل يغنيانك بما يطربك ويسرك ويبهجك وينسلان ادرانك وهما يلاطفانك بالمسليات والمضحكات فان غضبت ضحكا او تضاحكا ليصرفا عنك غضبك وقربا اليك ماكولا او مشروبا او العوبة فاذا مرضت قامت قيامتهما وكان الملك بعض آلامهما بك وتاوهك سهاما نازلة في افئدتهم وانينك خناجر متسلطة على احشائهم وتغيرك من حال الى حال نيرانا مشتعلة في اعضائهما وتقلبك من جنب الى آخر تقليبا لهما على جمر لا يطفئه الا شفاك ثم يصرفان النفس والنفيس في خدمتك ومعالجتك وينقطعان عن الطعام والشراب الا ما يحفظ الحياة الضعيفة بضعفك ويتركان الزينة واللذائذ والمشتهيات وينسيان الضحك واللعب والانس والسرور ويلزمان البكاء والنوح والتضرع الى الله تعالى فان سمعا شيا مما كان يسرك من الات الفرح كزمار او طنبور او الات موسيقية هاجت اشجانهما والتهبت نيران احزانهما وتذكرا ما كنت تفعله عند سماعك لها ثم لا يزالان في غم دائم وهم متراكم حتى ترزق الشفاء وتعتدل صحتك هناك تصفو حياتهما وتنشط اعضاءهما ويعود لهما الحس والادراك ويملان ليالي الافراح والتهاني . فان اساءك احد اجتهدا في القصاص منه باشد مما فعله معك ولوكان في ذلك نفاد حياتهما وازهاق روحهما فاذا ترعرعت اخذا في نقلك من البهيمية الى الانسانية بتعليمك اللغة وتعويدك على الحركة وارشادك الى النافع وتحذيرك من الضار واخذاك معهما في المجالس والمجامع ليدرباك على معاشرة الناس ويعوداك على الالفة والاستئناس بهم ولا يزالان كذلك ينقلانك من حالة الى اخرى مع فرط المحبة والاجتهاد في الخدمة والنظافة واستحضار ما يعجبك وتانس به حتى تتم لك المبادئ الامية اذ ذاك تذهب الى المهذب الادبي والمعلم الصناعي ليكون ادبك وسيلة الى الفضيلة وصنعتك سببا في حصول المسبب عليها من الارزاق المقسومة فاذا انتهيت تعلما ساعداك على ما تتعاطاه من تجارة او زراعة او صناعة او خدمة

لا يقصران في صرف ما يحفظ مظهرك ويوصلك الى غايتك ولا يملان من خدمتك كبيرا ولا يشكوان من الصرف عليك فاذا قلت ثروتهما باعا حليهما واثاثهما في تربيتك وتسهيل طرق معاشك فاذا بلغت مبلغ الرجال عمدا الى احسن بيوت الشرف وبنات الفضل المماثلات معهما واختارا لك احبهن اليك واليقهن بك وصرفا نقدهما في افراحك وانتقلا من خدمتك فريدا الى موالاتك مزدوجا وكلما كبرت من سن الى اخر كبرت محبتك عندهما فتشيخ وتهرم ومحبتك بين جوانحهما فتاة غضة الشباب نضرة المحاسن لا يغيرها تحول جلدك ولا بياض شعرك ولا تغيير محاسنك ولا يضعفها وهن جسمك ودقة عظامك وثنى جلدك وارتخاء اعصابك . فاذا كنت من ذوي اليسار والثروة ومنعتهما من الكسب والسعي معك تجدهما يدخران لك بعض ما تعطيهما من نقد وحلى ويصرفانه عليك عند عوزك ومع تقاعدهما عن الكسب فانهما ينتقيان بعضاً مما تستحضره لبيتك من فاكهة ومطعم ومشرب لوقت يقدمانه لك فيه عند عدمه ويتعهدان بيتك وحرمك وخدمك ويحرصان على ان لا تقع عينك على مستقذر ولا تسمع اذنك ما تكره ولا يشم انفك ما يستقبح فاذا نكبت بنكبة عجزت الاقلام عن شرح ما يحل بهما وحارت الافكار في تصور اكدارهما وكفاهما شرفا ومجدا وفارقا بينك وبينهما انهما كلما كبرت تمنيا طول حياتك وانت كلما كبرا تمنيت قرب وفاتهما وشتان بين المقامين ولا جامعة بين الامنيتين فاذا علمت عبارتنا هذه وتحققت معانيها أدركت سر قولنا لا تقوم بواجب من واجباتهما ولا فرض من فروضهما وحيث كان مقامهما في اوج لا ترتفع اليه خدمتك لهما بالغة ما بلغت وقد قرن الله طاعتهما بطاعته في قوله عز من قائل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ودفع عنا المشقة العظيمة في عبادتنا له تعالى بقوله فاتقوا الله ما استطعتم كان علينا ان نأتي في جانب القسم الآخر بقدر الاستطاعة وحدها السعي في مرضاتهما والبعد عما يغضبهما وشرح هذا الحد موجزاً ان لا تعصى لهما أمراً الا في المحرمات الشرعية فاذا امراك بانتهاك حرمة فلا تطعهما اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جل شأنه واذا امراك بامر فيما يختص بدنياك ورأيت انه سيء العاقبة تلطف في صرفهما عنه وفهمهما المانع

والعائق والمترتب عليه بلطف واذا هماً بفعل أمر تراه ضاراً بهما او بك او بكم فاصرفهما عنه كذلك باحسن عبارة خصوصاً اذا تقدما في السن فانهما يصيران كالطفل يغضبان ويرضيان باقل موجب واذا كنت تنفق عليهما تمهد محل نومهما ومأكلهما ومشربهما وملبسهما فربما كانا في ضيق من أهل بيتك وفرط محبتهما لك يمنعهما من تكدير افكارك بالاخبار عما يريانه من التقصير ولاتخرج من بيتك حتى تستعطفهما وتطلب دعاءهما لك ولا تبدأ أحداً من أهل بيتك وخدمك وولدك عند دخولك قبلهما وخصهما بوقت بعد وقت تجالسهما فيه وتلاطفهما وتستشيرهما في مهام بيتك وتعرض عليهما نوازلك ان كان من ذوي الافكار واذا ادخرت شيئاً عند حرمك فاخبرهما به جنساً وقدراً واحذر ان تطيل لسانك عليهما بشتم او زجر او تقبيح لعمل فان ذلك من اكبر الكبائر في حقهما وتأمل قول الله تعالى ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً تعلم ان الله تعالى فرض علينا في آدابهما اجل الفرائض وقضى لهما باعظم الدرجات ثم تأمل قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة تعلم ان ماضربناه لك من مثل الامير لايذكر في جانب هذا الامر الكريم اذ جعلهما فوق درجة الملوك فضلاً عن الامراء ولم يقل في جانب أولياء الامور جناح الذل كما قال في جانبهما وما ذاك الا لكونهما في مقام ليس فوقه ما يدانيه فضلاً عما يماثله . فان كانا من ذوي الكسب وكنت معهما في بيت واحد فاشركهما فيما تكتسبه وما تأكله وما تشربه وما تلبسه وان كانا أسبق منك الى هذا الفعل بفرط محبتهما ولا تخبأ عنهما شيئاً من كسبك ولا ترد عليهما ما اختاراه لك من أمور المعاش ولا تكلفهما الانفاق معك على اخوانك واحبابك ومجالس أنسك ومجالب لذاتك وان كانا مستقلين في بيت آخر فاجعل مودتهما وزيارتهما في الصباح والمساء فرضاً تقوم به قبل كل فريضة ومدهما بما يزيد عن ضرورياتك ان كان من ذوي الكسب فان كانا معدمين وجب عليك ان تزيدهما اكراماً وانفاقاً وتعظيماً عما اذا كانا في بيتك لتأثرهما ببعدك عنهما فاذا مرض أحدهما فلا تؤخر مجهوداً في خدمته والانفاق عليه ومعالجته ومؤانسته وتسليته حتى يشفى وهو مسرور منك او يرتحل وهو راض عنك فان ارتحلت من بلدهما فلا تقطع مراسلاتك

عنهما واتصال مبراتك والسؤال عنهما وعن شأنهما ومعاشهما وان سافرت بهما من مكان الى آخر فلا ترتكن على الخدم والاتباع وخصهما بالخدمة ومراقبة أحوالهما ومؤانستهما والقيام بضروريانهما حطاً وترحالاً وان وقعت أمك تحت غير أبيك او اقترن أبوك بغير أمك فلا يمنعك عن القيام بما قدمته لك هذا العارض بل يجب عليك ان تزيد في اكرام من تراه منهما على هذه الحال اكثر مما كان عليه حال الاجتماع فانه في مظنة نفورك منه وبعدك عنه فاذا وددته وبررته ببعض ماتقدر عليه زاد عطفه عليك واشتدت محبته لك وعظم رضاه عنك فان الام لاتقع تحت غير أبيك الا وهي تريد ان تعتصم به عما يشين مجدها ومجدك والاب لايقع على غير أمك الا وهو يريد ان يعتصم بها عن وصمة الرجال ومؤاخذة الشرع ومسقطات الشرف وليس شيء من هذا ضاراً بك او مسقطاً لقدرك او مزريا بشرفك فلا تقلد الجهلاء في عقوقهم أحد أبويهم ان خالف قرينه بقرين آخر بعد مفارقة الاول بموت او حياء فان كنت من سلالة آل البيت النبوي الطاهر وجب عليك ان تزيد على ماقدمته لك ما كان عليه السبطان الشهيدان الاكرمان مع والديهما امام المؤمنين والزهراء البتول فقد كانا لايجلسان بحضرتهما الا باذنهما ولا يتكلمان الا اذا اذنا أو سألهما أحدهما ولا يرفعان صوتهما الا بقدر ما يفهم الكلام وكان مولانا الحسن يتحاشى الاكل مع والدته الكريمة خشية ان يتناول لقمة وقع اختيارها عليها ومولانا الحسين يؤاكلها ليقدم لها الطعام ويهيئ لها اللحم بفصله من العظام وكانا لايدخلان عليهما بغير اذن فان كانا في مكان غلق بابه تحاشيا القرب منه حتى يخرجا ويصبان عليهما ماء الوضوء مع وجود الخدم ولا ينامان الا اذا ناما ويستيقظان قبل ان يستيقظا فاذا مرضت الخادمة ساعدا امهما في الطحن والعجن والخبز وكنس البيت وتنظيفه وحلب الشياه والاعنز وعلف الخيل والابل وربما منعاها العمل رأساً اذا كان فارغين من الاعمال الخارجية عن البيت وما رويا في مجلس قط مساويين لابيهما في الجلوس ولا سارين بجانبه في طريق ولا راكبين وهو راجل ولا متكلمين في مجلس لم يأذن لهما بالكلام فيه وكانا يعتبران خدم والديهما كما يعتبرانهما فلم يشتما ولم يضربا خادما او خادمة لوالديهما بل كانا

اذا مرض أحد الخدم قاما بخدمتـه وقضاء أوطاره وما دخل أحدهما على احدى نساء أبيه في خلوة قط وان كانت ظاهرة لمن في البيت ولا سرح طرفه في وجهها ولا اتبعها نظره اذا مشت امامه ولا تتبع افعالها في بيتها الخاص بها ولا خاطبها الا بالفاظ الحشمة والاعتبار والتعظيم ولا نقل أحدهما كلاماً عنهن الى أبيه أو أمه فاذا غاب أبوهما الكريم الاكرم قاما بخدمة أهل بيته وصيانتهم وكفالتهم وحراستهم وصرفا عنايتهما في مرضاته حتى يعودوهما على أحسن حال من الخدمة ورعاية أهله وتمهد مملوكاته من خيل وابل وغيرها ولقد ضحك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في مجلس أبيه وهو رجل كبير فقال له مولانا الحسين ان فيك جاهلية من جاهلية العرب كانوا لا يتحاشون الضحك في حضرات آبائهم فقال له سيدنا عمر من لم يتأدب بآدابكم معاشر بيت النبوة فهو في جاهلية ولم ير عبد الله ضاحكا في مجلس أبيه بعد ذلك اليوم مع كونه هو هو قدراً وعلما ومقاماً في رجال الامة اذ هو من الطراز الاول رضى الله عنه وانظر الى أدب السيدة أم كلثوم بنت الامام عليهما السلام والرضوان حيث دخل سيدنا عمر بيت الامام وهي صغيرة فاستدعاها أبوها بحاجة ثم بحاجة أخرى فقالت لابيها ما لعمر يحملق في اذا أقبلت ويتبعني نظره اذا ادبرت وانا صغيرة رُسُلٌ (أي لم تبلغ مبلغ الاختمار بالخمار كالنساء) فقال لها أبوها انها نظرة خطبة فألوت بوجهها وقالت مالكم تردون علينا ما هو لكم ونحن لا نحسن القيام بأمرنا ان في عمر لعفة ودينا لولاهما لنقمت عليه ثم ولت ولم يرها حتى دخل بها بعد فتأمل حرصها على مجدها في ملاحظة حال الضيف معها وانظر اعتذارها عن دخولها في مجلس الرجال بانها طفلة لم تبلغ مبلغ تحريم الاختلاط وتدبر قولها لابيها مالكم تردون علينا ما هو لكم من ارجاع الامر لابيها في اجابة سيدنا عمر او منعه واشطح بفكرك في قولها ان في عمر لعفة ودينا تدرك معنى اعترافها بكفاءته لها ثم تأمل قولها لولاهما لنقمت عليه ولم تقل لرددته تعرف قدر أدبها في حق أبيها وحق عمر ولا غرو ان أخذنا الكمالات الانسانية عن أصول بيت النبوة وفروعهم فان كنت ايها المريد شريفاً ورأيت نفسك تأبى مجاراة آبائك في آدابهم فاعلم انك دخيل في النسب لا وصلة بينك وبين من انتسبت اليهم الا بالدعوى

والشقشقة وان صحت نسبتك كنت عاقاً مغضباً لآبائك الاعلين فان احق الناس بمتابعة الآباء ابناءهم وهنالك آداب للسبطين واخوتهم سادتي وموالي محمد بن الحنفية ومحمد الاصغر والعباس وجعفر وابي بكر وعبد الله عليهم السلام والرضوان تركناها لعدم احتمال قواك لها وحسبك ماقدمته انموذجا مختصراً لايصعب عليك القيام به . واعلم ان فطرة الله تعالى قضت على الام بكراهة زوجة الابن ومحبة زوج البنت بحيث لاتملك الام شيئاً من ذلك مهما كانت قانتة مهذبة ممتلئة حكماً وآداباً الاان المهذبة تصابر الكره وتصانع الايام ولهذين الامرين سر غامض نشرحه لك لتعذرها وتحذر مما يترتب على امرها وهو ان الام كما قدمنا شديدة المحبة لولدها تحب له الراحة ودوام الصحة و بضاضة الجسم وزيادة القوى وتكره من يؤذيه او يجلب عليه شراً او يتسبب في ضعفه ووهن جسمه أشد الكراهة وهو اذا تزوج تحمل اتعاب العمل ومشاق الكسب سعياً على زوجته وصرف ما يكتسبه عليها وفي مرضاتها ثم يضعف ضعفاً بيناً بالمباضعة ويسقم ويمرض وكلما صرف حياته في مرضاة زوجته أحبته بقدر كراهة الام لها فاذا تأخر عنها قلته وهجرته حتى يعود اليها فالام تكرهها اشد الكراهة فطرة وجبلة لكونها مضيعة لصحة ولدها مجلبة لمرضه مذهبة لماله متلفة لحياته فلو عالجت نفسها بكل علم وادب ما ملكت من امرها الا مظاهر العقل من المصانعة وابداء الكلام في معرض النصيحة مع التهاب احشائها بنيران العداوة وهي مع زوج البنت على التضاد فان مايفعله ولدها لزوجته يفعله الزوج لبنتها فهي تحب من يرضى بنتها ويجري ويكتسب لينفق عليها و يلاطفها ويؤانسها ويداعبها و يواصلها بما تموبه اعضاءها وتدوم به صحتها فهي لاتملك نفسها في محبته تبعاً لمحبتها لبنتها . وزوجة الابن تكره الام لكونها حجاباً مانعاً بينها وبين تصرفها في ولدها وماله فهي ترى انها لايتم لها التمتع والاستبداد بامر البيت والرجل الا اذا فارقت الام بموت او حياة فاذا علمت ذلك وتحققته وجب عليك ان تكذب زوجتك في كل ما تنقله عن أمك وان كانت صادقة فانها ان صدقت في كلمة ضمت اليها كلمات ولا تطعها فيما تأمرك به في شأن امك فانها لاتريد الا ان تمكر بك وبامك حتى تمكن العداوة بينكما فتقلو امك او تهجرها

او تطردها كما يفعل الفساق واهل البهتان حتى يصفو لها الوقت معك ولا تجعل لزوجتك سلطة في بيتك تمس حقوق امك بل اجعل الامر والنهي والحل والعقد والترتيب تحت امر الام واذنها فلاتكون الزوجة الا خادمة مطيعة فالهلاك كل الهلاك في بيع النعيم الابدي بلذة برهة يعقبها تعب وامراض وتأمل قول صاحب الوجود صلى الله عليه وسلم جعلت الجنة تحت اقدام الامهات تعرف مقدار ما اقدمه اليك وما اسرده عليك ولأن تفارق كل يوم زوجة في مرضاة امك خير لك من ان تغضب امك لحظة من عمرك في مرضاة زوجتك فانك اذا فارقت الزوجة وجدت بدلها زوجات ولكنك اذا فارقت امك لاتجد لك اما غيرها والعاقل يحرص كل الحرص على مالا بدل له فاذا رأيت نفسك ايها الانسان متمكنة من ضبط ظواهرها وبواطنها في جانب والديك مستعدة للقيام بما قدمناه من معاملتهما كان لك ان تتقدم بين يدي استاذ عارف وتأخذ عنه والا فولنا ظهرك فما انت الا مغضوب عليه ومحال ان ينتفع مغضوب عليه باستاذ او طاعة فليست رغبتك في سلوك طريقنا اشد من رغبة غلام شاب في الجهاد في سبيل الله تعالى لاعلاء كلمة دينه حيث جاء للنبي صلى الله عليه وسلم شاب يستأذنه في الخروج معه الى الغزو فقال له استأذنت امك قال لا فقال له اذهب اليها فان اذنتك والا فقر في بيتك ولم نطل عليك القصل بذكر الوعيد المترتب على عقوقهما والاحاديث والاقاويل الواردة في ذلك اكتفاء بحكم واحد هو ان الله تعالى يغضب لغضبهما ويرضى لرضاهما فاذا سعيت في اغضاب الله تعالى عليك فكيف تدعي انك تريد الوصول اليه وكيف يوصلك وهو غير راض عنك وقد نصحتك وعرفتك طريق الهدى فخذ اودع كلامنا للموفق والله يحفظني واياك من خطرات القلوب وسلطنة الشهوات

في معاملة الاخوة والاخوات

اعلم ايها الانسان ان اخوتك واخواتك من جاءوا معك من والديك او من احدهما والسير معهم في طريق المعاش وفتح البيت كالسير مع القانون العادل فكما ان المملكة تخرب

بضياع القانون والامة تتفرق بترك احكامه كذلك البيت يخرب بترك الوصلة الاخوية والعائلة تتبدد بترك احكام الشريعة والانسانية وانت محتاج الى قانون تسير عليه في حق اخوتك واخواتك فنخص لك انموذجا تقيس عليه لا يخلو اما ان تكون اكبر اخوتك او اوسطهم او اصغرهم فان كنت الاكبر كنت في مقام الاب في تربية الاصغر وتهذيبه ومراقبة حركاته ورده عن المنكرات والرذائل وهديه الى المحاسن والكمالات ووجب عليك ان تخلع نفسك من دعوى المشاركة لهم في البنوة ومقتضياتها فلا تغالب الصغير على امر بدعوى الاشتراك ولا تهمله في التربية ارتكانا على والديك فقد كانا يدا واحدة في تربيتك وبوجودك صرت لهما يدا ثانية يستعينان بها على مظاهر حياتهما فيجب ان تصرف نقدك معهما في تربية اخوتك وتنتقي لهم احسن المؤدبين واكمل المؤدبات وتختار لهم احسن الصنائع والطف طرق الكسب وترعاهم صغارا وكبارا حتى يبلغوا مبلغ الرجال والنساء وانت بينهم كالوالد الرحيم تصلح المتخاصمين وترضي الغضبان وتبر المحروم وتساعد المعدم وتعول الضعيف وتمون المريض فاذا صاروا ذوي كسب كنت رقيبا عليهم حافظا لنظامهم مؤدبا للشاذ منهم فاذا صاروا ذوي زوجات كنت خفيرا لهم على حرمهم معلما لاهل بيتهم متعهدا حالة بيتهم ناظرا في امر معاشهم قاضيا في امر دعاويهم منفذا في تاديبهم مرجعا لشكواهم ملجأ لعياذتهم ولا تصل لهذه المكارم الا بخلق حسن ولين طبع وسلاسة عبارة ودوام تبسم وعظم رحمة وكبير محبة فانك صرت اماما مقتدى بافعاله بين العائلة فان اساءت اخا قلاك وابغضك وان شتمته سكت لك في الاولى واعادها عليك في الثانية وان ضربته بغير ذنب او افرطت في ضربه جرأته عليك ومكنته من النفرة والعزلة وعقوقك وعقوق والديه وان اختصصت بامر دونه غرست الحقد في باطنه وجعلته رقيبا عليك منتقدا لافعالك معترضا على اعمالك وهذه امور تجر بكما الى منافرة الوالدين واغضابهما فانهما اميل للصغير واحرص على مرضاته بفطرتهما ويجب عليك ان تتبع احوال اخواتك وتتجسس على افعالهن في خلواتهن وتتفقد النساء الداخلات عليهن من الجارات او باعة الحلي او الطيب او الملبس فكم من ذات شرف في بيتها غرتها دخيلة واضاعت شرفها وكم من مخبأة مخدرة اخرجتها عجوز مترددة عليها او جارة توسل بها احد

الفساق وكم من مؤدبة نقلتها الجارات الى طباعهن السوء بالتقليد والمجاراة فلا تأذن لذات ريبة بالدخول في بيتك ولا لمستهترة هازلة فمن لا حياء فيها لا خير فيها بل الشركله في قربها ومجالستها فاذا خطبت فلا تجب كل خاطب حتى تعلم اصله وكسبه وسيرته في نفسه واهله ولا تغتر بذوي الاموال والبيوت العائلية فكم من عظيم يترك بيته ويدور في بيوت البغايا وكم من ذي شهرة في الظاهر لا يساوي زبالا في غيرته ومعاشه وكم غني يضن على نفسه بالطعام فضلا عن غيره ونساءنا معاشر الشرقيين ممن ضرب عليهن الحجاب وفسدت تربيتهن كما ستراه في معاملة الابناء ان شاء الله تعالى فاذا لم يكن الزوج كفوا للقيام بها جلبت عليك العار بفساد اخلاقها وشغلتك بكثرة شكاويها وكدرتك بالحاحها وطول بكائها ثم ساعد والديك في جهازها وجملها ومتعها بما تقدر عليه واخلص لها النصيحة والموعظة والوصية التامة وتردد عليها في بيت زوجها بالزيارة والمبرة لتعظمها في عينه وتخيفه من سوء معاملته لها وكن لها عضدا في نوازلها فانها ممنوعة من مخالطة الرجال ومعرفة الحاكم فلا تنصر زوجها عليها في غير حق له ولن في تهذيبها لين الافعى حتى تجرأ عليك وتنقل عنك فان ساءت العشرة او الادب فانهسها نهس الافعى حتى لا تمادى في فعلها . وان رأيت احد اخوتك على امر لا ترضاه فلا تشدد النكير عليه بل استحضره امامك في خلوة وعظه واضرب له الامثال بمن عمل عمله وخسر وعلمه الاحكام الشرعية فيما يأتيه من الاعمال فان لم يرجع فاجعل كلامك له مع ابويكما وشدد عليه شدة لا تنفره واردفها بمدح ما كان عليه قبل والثناء عليه لو جاراك في ادابك وصله بعبرة تخجله منك وتنسيه صعوبتك عليه وسلط عليه امه تنهاه وتنبهه على مكارمك معه واوعز الى ابيك ان يحضه على اطاعتك واتباع اوامرك فان لم يرجع فاجعل الكلام معه بين اخوانك الصغار والكبار ومثل باصغرهم في ادبه وكماله واكثر من الثناء عليه والاطناب في مدحه وبر الاصغر مبرة تحول فكر الخارج الى مثلها واهجره في الكلام وجانبه في الجلوس حتى تحرك فيه الحمية ويثور فيه دم الحياء والخجل ويرجع اليك مستعطفاً خاضعاً اذ ذاك قبله بين عينيه واذكر له ماخشيته عليه من عمله وما كانت تؤول اليه عاقبته وبره براً واسعاً وعده بانك تزيده احساناً كلما زادك متابعة لآدابك

وهكذا تسوس الاخوة والاخوات وإياك إياك والضرب المبرح فانه مفتاح الفرقة وداعية المداوة وان وقع احـد اخوتك في شدة اونكبة فكن له عضداً ما مكنتك الفرصة واخلفه في بيته ان كان آهلاً بالانفاق والزيارة والحياطة والرعاية وتفقد الاحوال وان كنت اوسط اخوتك فانظر لبر الاكبر لوالديك وقلده فيه وانظر لمعاملته لك وقلده فيها في معاملة الاصغر . وان كنت الاصغر فلذ بالاكبر لياذك بابويك وقدم له كل ما تريده وما ينزل بك واحرص على التأدب في حضرته فلا تنتقص اخاك الذي نافرته ولا تنافر اخا امامه ولا تعصه اذا أمرك بامر لاصلاح شأنك ولا تتجسس عليه في بيته ولا تتعرض لحرمه باهانة او تحقير او تنغيص ولا تنقل اليه عن حرمه امرًا لاحقيقة له ولا تدخل عليه في خلواته ولا ترتفع عليه في المجلس ولا تساوه في مكان لم يأمرك بالجلوس فيه ولا ترفع صوتك بحضرته رفعاً فاحشاً ولاتجلس بين يديه مادًا رجليك ولا تضحك بغير سبب وليكن ضحكك تبسماً فان غلبك فليكن لطيفاً بغير تقهقه وشخير وانظر معاملته لوالديك وقلده فيها في حقهما وحقه وان دخل عليكم اجنبياً فكنت انت واوسط اخوتك خدما بين يدي الاكبر متمثلين باحسن الآداب واكمل الصفات وانظف الثياب وكونوا لامره اطوع من نوعه وفي قضاء حوائجه اسرع من الخادم النشيط فان دخل بكم مجلساً فقفوا عندما يحدده لكم من الوقوف والجلوس والكلام والحركات ولا تحدثوا بين يديه ماينقصه منكم او يزري بمقامه بين امثاله

وظائف العلماء في العالم

من نظر الى العلماء ووظائفهم في العالم حكم بان الكون السفلي ما خلق الالهم ولاعرف الا بهم ونريد بالعلماء كل ذي علم ينتفع به في شيء مخصوص لاخاصة المعلمين والمدرسين واول العلماء قياماً بوظائفهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم فتحة باب العلوم النافعة وعندما نيط بهم النظر في شؤن العالم والقيام بدعوة الناس الى الصراط المستقيم جدوا في طريق الافادة واجتهدوا في جذب النفوس اليهم بالرفق واللين وحسن الخلق وجميل المعاشرة فلاينوا الاغنياء ولاطفوا العظماء وجالسوا الضعفاء وماشوا الفقراء

ونصحوا العبيد والاحرار ووعظوا العقلاء والاغرار وصبروا على مشاق المارضة والمجادلة وتحملوا ألم التكذيب والتعذيب ولم تقعدهم رعود التهديد والتأنيب عن بث دعاويهم التي انتصبوا لنشرها في معاصريهم وقد تجافت جنوبهم عن مضاجع الراحة فما اخلدوا الى الرفاهة ولا مالوا الى اللذائذ البدنية ولا اشتغلوا بجمع الذهب والفضة ولا اعتنوا بكثرة الاثاث والاوعية بل ظهروا فقراء وعاشوا فقراء وماتوا فقراء عن زهد وورع لا عن قلة وضنك حال فان هداة العقول غنيمتهم جذب النفوس وحظوظهم اخذ السامعين بدعوتهم ولذائذهم في تكوين العصبيات وتوحيد الكلمة وتطهير عنصر الجامعة الدينية والملكية من خليط التفريق وامشاج الاهواء . وقد قضوا أدوارهم العظيمة في تعب وعناء وانتهى بهم الامر الى ظهور الحكماء والعلماء بالاخذ عنهم مباشرة او بالنظر في كتبهم وانقسم الناس بعدهم افرقاء كل فريق جعل له وجهة علمية يقضي حياته في الوصول اليها . فاختلفت مواضيع العلوم واحتكت الافكار بعضها ببعض وتبادل العلماء التلقي والتلقين والجدل والمناظرة حتى اتموا ممدات الكمال العمراني بما وصلوا اليه من المعارف الآتية اليهم باحتكاك افكارهم في علوم الانبياء الذين قادوهم بعقود الدين والسياسة السماوية حتى اوصلوهم الى النظر في السفليات والعلويات وغرائب المخلوقات وهدوهم الى المبتكرات والمخترعات وعلوهم طرق السياسة السلمية والحربية وترتيب الادارات وتقسيم الولايات ووضع الضرائب وفصل القضايا وعقد المعاهدات وتوسيع التجارة وكل ما يلزم الملك وما فيه من العالم . وباتقان الحكماء والعلماء هذا الطريق المستقيم اعتمد عليهم الملوك وجعلوهم شركاءهم في الرأي والتدبير والقضاء والتنفيذ وسلموهم الأمم يتصرفون فيهم بعلومهم التهذيبية والتأديبية كأنهم هم الملوك . ولما رأوا ان العلم رفع وضيعهم الى حيث اجلسه مع سلطانه واركبه مع اميره بذلوا نفوسهم ونفيس اوقاتهم في تحصين المركز العلمي من السقوط والتلاشي فاكثروا من المدارس وانتقوا اليها الاذكياء النبهاء وخدموهم بأنفسهم خدمة الوالد الرحيم لطفله الصغير ثم نقلوا المتعلمين من ساحة العلم الى صحراء العمل تحت المراقبة والملاحظة وقد نظر كل متعلم لما عليه معلمه من الابهة والجلال ورفعة المقام وبعد الصيت فانبعثت فيهم ارواح

الغبطة وحملتهم على اقتحام عقبات المتاعب اقتداء باساتذتهم حتى أخذت أعمالهم بأديهم ونادتهم مآثرهم الى منصة الامارة فعلوها بحق واستحقاق وقد اخذ الشرق دوره في هذا المقام الجليل لاخذه عن الانبياء مباشرة واشتغال أهله بالمجادلة والمجالدة قروناً طويلة خصوصاً أيام الدور المحمدي الاسلامي فانه جاء بخيري الدنيا والآخرة وملأ الكون بالعلماء والامراء وفتح للتعليم أبواباً ما اهتدى اليها السابق ولا ذمها اللاحق حتى عرف المغايرين له كيفية الاخذ بدينهم بما رأوه في كتب علمائه من الابحاث الاصولية والقواعد التوحيدية والفروع الفقهية والعلوم العقلية فاقتدوا بهم وجاروهم في التآليف الدينية وغيرها وكانوا عنها غافلين . وقد ملأ علماؤه كتبيات العالم اجمع بفوائدهم وفرائدهم العلميـة ونشروها بين افراد الامم وعلموها كل طالب حتى قادوا الشرق والغرب بعلومهم فكل ما في الكون الآن من العلماء باي علم كان انما هم تلامذة المسلمين وفي عنق كل منهم نعمة للدين الاسلامي وان دان بغيره . وعند ما تعددت وحدة الملك في الشرق بظهور المتغلبين ضعفت قوته العظيمة بتجزئ ممالكه فسهل على الغرب شن الغارة عليها لان الامة الكثيرة العدد والاقطار تصـدم مثلها من الامم دفاعا عن نفسها وتحفظ مركزها الجغرافي باجتماع كلمتها فاذا تجزأت وصارت قطعا متقاطعـة سهل على غيرها من الامم ان يبتلعها لضعفها عن المقاومة وانقطاعها عن المعضـد والمعين . وهذا الذي فتح لاوروبا باب التغلب على الامم الشرقية والتداخل في اعمالهم وتمزيق اوصال مجتمعهم الشرقي بايقاع العداوة بينهم وايغار صدور ملوكه من بعضهم البعض حتى جدعوا انوف مجدهم بايدي عداوتهم ووقف الغرب يتفرج على اهل بيت ينقضون جدران اوطانهم حجراً حجراً حتى اذا انحط الرفيع وضعف القوي وتوزعت الاهواء حول المطامع الاجنبيـة وقع الشرق في شرك الجهالة وتحولت قوته العلمية الى الغرب فتلقاها اهله بالترحيب والتكريم واشتغل كل فريق بعلمه حتى اذهلوا العقول وحيروا الافكار وملكوا معظم الشرق بمجدهم الغريب . وحيث ان الادوار الشرقية طويت في سجل كان والدور الغربي هو المعلوم الآن لزمنا ان نبين طبقات علمائه الغربيين والشرقيين تذكيرًا لا تعليما عسى ان تحيا همم النشئة العلمية الشرقيـة فيؤدي كل عالم منا واجبات علمه اقتداء بمثله

الاوروبي اذ عز علينا ان تقول اقتداء بجده الشرقي لطول العهد بيننا وبين اجدادنا ونسياننا ما كانوا عليه . ولا عيب علينا اذا اخذنا عن اوروبا واقتدينا بها الآن في اجراء وظائف العلماء كما هو حاصل فقد اخذت عن متقدمينا واقتدت بهم حتى آن لها الاستقلال بافكارها والاشتغال على اساتذتها شأن الأدوار العمرانيـة في الممالك شرقية وغربية

﴿ طبقة الملوك والامراء (البرنسات) ﴾

هذه الطبقة الجليلة القدر شأنها النظر في امور الامة المحكومة من حيث ترتيب المحاكم والادارات واعداد الآلات وتشييد الحصون وجمع الجنود وعمل السفن حربية ونقايـة وحفظ الروابط الملكية بينها وبين متاخيها ومجاوريها ولا يصلون لذلك الأَ باتقان العلوم في الصغر ودراسة جغرافية العالم واخلاق الامم والشرائع والقوانين والنظامات والوقوف على مشارب الاحزاب ومساعي الملوك وبهذه العلوم سهل عليهم القيام بوظائف علمهم فشاركوا اصاغر الناس في تخصيص بعض اوقاتهم لاداء واجب الوظيفة بجد واجتهاد فالملك منهم دائم الفكر ناظر الى الممالك باحدى مقلتيه والى مملكته بالاخرى مشارك لوزرائه في المشورة واستمداد الآراء مائل الى الامة ميل الاب الى ولده خائف عليها خوف الراعي على غنمه في ارض مذأبة . والامراء من العائلات الملوكية قائمون باعمالهم ناظرون نظر كبرائهم يتوددون الى الناس فيعودون الاغنياء ويتألفون الفقراء ويزورون الجند ويترددون على اهل القرى تنشيطاً لهممهم وحثاً على عملهم حتى اذا انتهى اليهم الدور جاؤا الملك وهم على احسن ما يكون من الاهبة والاستعداد . وما رأوا من الامة امراً محمود العاقبـة الا كانوا في مقدمة الآخذين بايديهم وقد حفظوا كل ما يلزم الى الامة وعرفوا المحكومين وما هم عليه من العادات والاخلاق فلا يغيب عنهم وجيه ولا عظيم ولا فاضل ولا غني ولا رئيس من رؤساء الجمعيات والاديان . ولهم رغبة كبرى في تأييد الجمعيات العلمية والدينية بالحضور في محافلها وحث اعضائها على المثابرة والاجتهاد ومساعدتهم بالمال والسلطة في اي ارض كانت الجمعيات وبهذه الخصال جذبوا القلوب

اليهم وحولوا الافكار الى وجهتهم فاختلف الناس في اعمالهم واتحدوا في الانقياد الى ملوكهم والتعاضد على حفظ بيت الملك الذي هو بيت مجدهم وحياة اوطانهم في الحقيقة ومن حاد من الملوك عن هذا الطريق تداعت دعائم ملكه

﴿ طبقة الوزراء ﴾

رجال هذه الطبقة العظمى اتعب الناس فكرا يقضون النهار ومعظم الليل في اشغال فكرية واعمال يدية كتابية يتساءلون فيما بينهم عن الممالك واخبارها اليومية ويبعثون البعوث الى داخلية الغير اكتشافا للمواقع وتطلعا الى الاخبار السرية واحصاء للاعداد العسكرية ومعرفة للوسائل المؤدية الى مقاصدهم السياسية وربما غيروا صبغة بعض الافراد الدينية وامروهم ان يتظاهروا بمذهب الغير ان مالهم في الدين او بدينه ان غايرهم في المعتقد ليسهل عليهم الاختلاط بالامة ويثقوا بهم في اقوالهم وافعالهم فاذا تم لهم المقصود جدوا ولفقوا اصول الدين وفروعه بما يؤلفونه من الكتب في دين من يداخلونهم ليوقعوا بين الامة الاختلاف والهرج والمرج حتى تتعدد الوحدة وتتمزق الاجتماع والاجماع . وعلى هذه الطبقة ايضاً السهر فيما يقدم البلاد ويحفظ الامن ويوسع دوائر التجارة والزراعة والملاحة والصناعة والمكاتب الدينية والعلمية فتراهم يتنازلون الى عيادة المرضى وزيارة الوجهاء واذا مروا بارض ريفية لاطفوا اهلها وسألوهم عن احوالهم ووعدوهم بما فيه خيرهم جذبا للنفوس واداء للواجب . واذا دخلوا مجلساً من مجلس الاعيان شاركوهم في الحديث وبادلوهم الجدال فيما فيه نجاح الامة وعلو شأن المملكة فاذا اجتمعوا بامثالهم اكتشفوا افكارهم وشاوروهم في امورهم واستمدوا منهم وامدوهم فاذا عادوا الى الملوك اخبروهم باحوال المملكة واخبار الممالك واطلعوهم على الوقائع اليومية والاحكام القضائية وراجعوهم في مقترحاتهم بما يعود عليهم بحفظ السلطة والسطوة وعلى الاهالي بالثروة وراحة البال وهذه دروس لا ينقطعون عنها ولا يملون من تدريسها في اي بقعة حلوا فيها فلا راحة لهم من الاتعاب ما دامت اعينهم ناظرة وآذانهم صاغية فهم في عمل دائم اليوم في تنظيم جند وغداً في بث نظام وبعد غد في

اجابة نداء من ارسلوهم في ممالك الغير باحثين ومكتشفين لتوسيع دائرة السلطنة وتكثير موارد الثروة باستخدام الامم المتغلبين عليهم فيما يعود على المملكة بالمنفعة المالية والدولية وقد احكموا التلقي لهذه العلوم حتى فاقوا اساتذتهم الاولين فهم الآن رجال الحل والعقد ينظرون الى المغيب البعيد بمناظر المعدات والموصلات الى الغايات لا بنظر التقاعد والكسل والاعتماد على اوهام الجفور وخرافات الرمل والزيارج

طبقة التجار والاغنياء

هذه طبقة العز والمجد في اوروبا فقد اجتهد اهلها في معرفة الحساب وطرق الارباح من الاتجار بالاصناف الصناعية والزراعية والمعدنية والاوراق والبنوك واحتكروا كثيراً من الاصناف في داخليتهم وفتحوا كثيراً من المحال في جميع المدن المعمورة وبعثوا اليها تجارة بلادهم ليميتوا صناعة الغير ويحولوا ثروتهم اليهم بحصر التجارة فيهم والصناعة في بلادهم وفتحوا المجامع الكثيرة المسماة بالبورص لاجتماع الشتيت منهم بعد الفراغ من العمل لمعرفة احوال التجارة والوقوف على الاسعار واخبار الممالك التجارية وبهذا توحدت كلمتهم وسيرهم فلا تستطيع حكومة ما ان تؤثر في تجارتهم شيئاً بل انهم بما لهم من القدرة على احتكار النقود والاقوات اضطروا الممالك الى اجابة طلبهم فيما يختص بتقدم تجارتهم . وما زالت تجارتهم تنمو حتى اقترضت الدول منهم وصارت مدينة لهم فقبضوا بذلك على اطراف السياسة وصاروا من رجال الحل والعقد في مجالس الحكومات . وبحسن تصرفهم تداخلوا مع فلاحي بلادهم اولاً بالتجارة ثم بالقروض حتى قبضوا على الزراعة ايضاً من طريق آخر فالمعامل والتجارة والزراعة كلها تحت تصرف هذه الطبقة فلا غرو ان قيل انها عنصر حياة الامم في اوروبا . ومن لوازمهم انهم ما قعد احدهم في مجلس الا اخذ يتكلم في التجارة وفوائدها وطرقها وكيفية النجاح فيها ليرغب السامعين في الاتجار معه لتعظم قوة المملكة بكثرة التجار ووفرة ثروتهم فهم اساتذة في فنهم منبثون للتعليم والافادة ولم يجعلوا فوائدهم قاصرة على لذائذهم البدنية بل مدوا ايديهم الى الجمعيات الدينية والعلمية ففتحوا ألوفاً من المدارس وألوفاً

من الجمعيات وبثوا رجال الدين والعلم في العالم اجمع على نفقتهم يستميلون من غايرهم دينًا ويكتشفون ما غاب عنهم من الامم والاراضي لا يمنعهم من ذلك كثرة المنصرف ولا توالي الازمان كلما تقادم العهد زادت النفقات والجمعيات فهم تجار في الظاهر دعاة فتحة في الباطن فكانهم هم الملوك ورجال المملكة وعظماؤها عمال لهم

طبقة علماء الرياضة والطبيعة

هذه طبقة الفضل في العالم فان رجالها اهل الابتداع والاختراع وتهذيب النفوس وتعليم الجهلة وصناعة الضروريات . منهم الطبيب والكيماوي والمهندس والفلكي والميخانيكي والنباتي والمعدني والحيواني والبحري والبري من رجال الحرب والجغرافي وغيره وكل واحد منهم منكب على عمله مجتهد في تقدم فنه بشرح غوامضه وتبيين فوائده ونشر فرائده فهم في سباق دائم ولا وجهة لهم الا وقاية ممالكهم واعلاء شأنها وتقدم معارفها وصنائعها وتعظيم ثروتها وتعضيد قوتها . يختلفون في المواضيع العلمية فيما بينهم ويتفقون في المجامع السياسية وخدمة الامة خدمة جد واخلاص لا تقعدهم عن جوب الاقطار البعيدة ومفارقة الاهل والاوطان لفائدة يفيدونها ممالكهم وشاردة يضمونها لعلومهم ومجد يكتسبونه بين اممهم وذكر خالد يحفظ لهم التاريخ فهم السلم الذي ترتقي عليه الامم الى درجات الكمال والمعراج الذي تصعد عليه الملوك الى سماء الابهة والجلال والعضد الذي تقوى به الممالك على الدفاع والوقاية من عوارض الضعف والتلاشي ولا حديث لهم الا في فنونهم كلما قعد احدهم في مجلس ذكر فضل علمه وفوائده وعدد الحوادث والوقائع والمشاهدات التي نشأت به وطرأت عليه وشوّق السامعين الى الاشتغال به والتعويل عليه ليثير هم المتقاعدين عن المعارف وينبه الغافلين عن اسباب الفضائل ومظاهر المجد وناهيك بطبقة بلغ عدد المعلمين منها في امريكا نحو ثلثمائة الف معلم يتعلم منهم نحو ٦٠٠٠٠٠٠ من التلامذة وقد نبغ على ايديهم نحو ١٣٠٠٠٠ طبيب و ١٦٠٠٠ مؤلف و ٥٠٠٠ محرر للجرائد ومن لا نحصيهم من ذوي الفضل في الفنون الكثيرة المتداولة فيما بينهم

طبقة الكتاب والمنشئين

هذه طبقة السلطة على العقول والسطوة على الاعمال منها رجال المحابر وخطباء المنابر وحفاظ الاموال ومؤرخو الاحوال والقابضون على ازمة الافكار بيد الجرائد السياسية والعلمية والدينية يقضون ايامهم في نشر فضيلة واعدام رذيلة يغمدون السيوف المجردة بعباراتهم السلمية ويجردون المغمدة بجملهم الحماسية ويطفئون الفتن الثائرة بكلماتهم السحرية ويستميلون الملوك اليهم او الى الامم برقائقهم المدحية والاصلاحية يجمعون الدنيا امام القارىء في صحيفة يتناولها باصبعين فهم اساتذة الخواص والعوام وائمة الوزراء والعقلاء والرعية. والخلق امانة عندهم يتصرفون في افكارهم بانشائهم البديع تصرف المعلم في فكر الطفل الفارغ من العلوم . وقد اجتهد كل فريق منهم في حفظ وحدة قومه والحث على رعاية ملكه ووقاية مملكته والارشاد الى طرق التقدم والتحذير من التقاعد والتهاون والتقهقر . وما زالت درجتهم تعلو ومحبتهم في قلوب الامم تنمو حتى شغلوا العالم برقم بنانهم ومبتكرات افكارهم فلا يصبح الرجل الا سائلاً عن الجرائد وما فيها ولا يمسي الا قارئاً للاخبار السياسية والتجارية والفوائد العلمية حتى ان الرجل في اوروبا ليسوق العربية والجريدة بيده فمتى وقف في نقطة فتحها وقرأ منها فصلا والصانع اذا اشترى الجريدة ترك ما بيده حتى يفرغ منها قراءة وزادت عنايتهم بالجرائد حتى وضعوا منها نسخاً في المراحيض يقرؤها قاضي الحاجة فلا يضيع عليه وقت بل ترقوا الى ان طبعوا الجرائد على قطع من القماش تصنع فرشاً وستراً فيجلس المرء على فرش كله حوادث تاريخية ووقائع سياسية وينظر في ستارة نقشها علوم لا رسوم . وقد كثرت رغبتهم في الجرائد حتى بلغت عدداً عظيماً فيوجد في فرنسا وحدها ٣٧٣٠ جريدة ما بين سياسية وعلمية ودينية وتجارية منها في مدينة باريس ١٥٦٠ جريدة والباقي في ولاياتها واذا علم الشرق ان جريدة النيويورك هرالد تربح من اجرة الاعلانات كل يوم خمسة وثلاثين الف فرنك علم قدر المحررين هنالك وفضيلة القراء الذين عرفوا حقوق المنشئين فساعدوهم واستفادوا وافادوا . وكذلك اذا علم الشرقي ان محرري الجرائد ترتفع بهم

الدرجة هناك الى انتظامهم في سلك الوزراء على مقدار ما ينتج من العلم والاشتغال بالمنفعة العامة . وهذه النتائج لم يحصلها المنشئون بالغش والخديعة والسير بالامة في طريق توصلهم الى الغير ولا بشقشقة الالفاظ التي لا طائل تحتها ولا بتصويب عمل المخطئين وتخطئ المصيبين وتقبيح الحسن وتحسين القبيح ولا بجعل الجرائد اسواطا للغير يضرب بها اهل البلاد ليسوقهم في مرضاته بلسان من هو منهم صورة وانما حصلوا هذه الرتب الرفيعة بخدمة اوطانهم وممالكهم وتبيين طرق الاصلاح وحفظ مراكز الرجال الطاهرين من امرائهم واعيانهم بتعريف الامة قدر اعمالهم وثمرة اتعابهم واشتغالهم بنصح الامة وارشادها الى الصراط المستقيم وسهرهم الليالي في مطالعة جرائد الغير لنقل فائدة أو الوقوف على خديعة يحذر قومه منها ويبين طريق البعد عنها واخلاصهم في هذه الخدمة حتى لو كانت جريدة لسان وزير أو حزب فانها انما تحسن مبادئه واعماله ووجهتها هي وجهة غيرها من جهة خدمة الوطن وأهله فالوسائل مختلفة والمقصد واحد وهذا الذي أكد للامة ثقتهم بالمحررين حتى اخذوا كل ما قدموه لهم بيد القبول واحلوه محل الاخلاص فلا غرو ان قلنا ان الامم الاوروباوية اجسام والمنشئون ارواحها

﴿ شذرة من رواية الوطن وهي رواية تشخيصية الغرض منها الحث على التعاون ﴾

(لانشاء المدارس العلمية والصناعية)

ابو دعموم	ايه امال عوار يتلف عينك له امال احنا حميريم
ابو الزلفي	خابط يتول دماغك معبوط وا — مالك كده من غير شر
ابو دعموم	دا مين ابو الزلفي سلما ...
ابو الزلفي	طيب ...
ابو دعموم	كانت فين دي الغيبه
ابو الزلفي	في جهنم الحمره
ابو دعموم	ليه من غير شر ما انت بخير
ابو الزلفي	ما بار علينا ما بخير ولا

ابو دعموم	ايه بس ما تقلش نصيبتك ايه
ابو الزلعى	يبقى ما انت شايف الطوافه نازلين علينا بالشمريخ ومشايخ البلد نازلين علينـا بالصرم وحاكم الخط مشرمطنا بالكرميش والمدير مكسرنا بالنبابيت له الواحد بقا حديد ولا ايه
ابو دعموم	يا دم يلهفك يا خي يبقى ما ترميش للكلب منهم بريزيه وتخلص
ابو الزلعى	عوار يحول عينك هي كام بريزيه دالي يطلبوه الصبح ما يطلبهشي المغرب
الوطن	اين اهلي اين اولادي اين رجالي اصبحت حائرًا في امري لا ادري ما يفعل بي من يراني هكذا ويقول هذه مصر المشوقة لكل انسان
ابو دعموم	آي غوريا خي يعشقوك على ايه
ابو الزلعى	حرام عليك يا شيخ ما تشموش دا غلبه
ابو دعموم	بقى لما تبقى اهله دايره تقطع في بعضها والكبير ينهب الصغير والغني يقتل الفقير اللي راح يمشقه مين كده
الوطن	اذا لم تصلحوا انفسكم من يصلحكم واذا لم تحفظوني من يحفظكم
ابو دعموم	بقى مقصودك يعني اننا نجتمع ونبقى عصا وحده
الوطن	نعم فانكم لا تنجحون الا بالاتحاد
ابو دعموم	طيب اديني واحد من الناس هات لي واحد قلبه على قلبي لس
الوطن	عجيبه بقى كل اهلي مختلفين
ابو الزلعى	اهلك ايه يا غاير له الولد يحب ابوه
الوطن	كل هذا سببه الجهل
ابو دعموم	جينه للت والعجن بقه مادي فقي البلد كل نهار جمعه يقول يا عباد الله اتقوا الله ولا حد بيتقي ولا بيزروط
ابو الزلعى	اي هو الفقي يبقى يخطب وشيخ البلد مدور المده
ابو الزلعى	دانهار ما يقول الفقي بم يديه لما يقطع قلبه

المتكلم	الكلام
الوطن	بلغ من الجهالة ان تضرب العلماء في بلادي
ابو دعموم	ايه له يعني العالم زايد مش فلاح زينه وله طين ادنه
الوطن	اهانة العلماء أول دليل على خراب البلاد فوا اسفاه
ابو الزلفي	آه ما يسلط عليك واحد ناظر قسم ويبطلك قولة العلماء والجهال
الوطن	لهذه الدرجة صارت سطوة ناظر القسم
ابو دعموم	ناظر القسم ايه يا اهبل دا جرجريوس الصريف يضرب ويشخ اسكت اسكت
الوطن	ارجع لقولي واقول كل هذا سببه الجهل
ابو دعموم	ربنا يرزقنا بواحد قواس يرطن عليك بالتركي ويرفصك في كرشك وهو يطلع العلم والجهل من عينيك الاثنين
ابو الزلفي	لا وان قال بم يخبطه بطبنجه يطلع روحه
الوطن	بقى يقدر يضرب بالنار
ابو دعموم	نار ايه يا هايف دا قتل الراجل عنده اهون من قتل الفرخه
الوطن	عار عليكم تتركوا انفسكم حتى تصيروا لهذه الدرجة لم تشتكوا للحكومة
ابو دعموم	حكومة ايه يا وطا داللي بتبعتوا لنا من المخسيف المأمير بتبعته له بيعه جزاري
الوطن	اذا اتفقتم على كلمة واحدة ورفعتم امركم الى الرئيس الاكبر فانه لا شك يريحكم من هؤلاء الظلمة
ابو الزلفي	اللي انا يوم يقولولي كلم شيخ البلد افوت عيالي وهج يبقى اللي راح يلقى له قلب يصف رجليه قدام الحاكم مين
الوطن	اياك يؤثر فيكم هذه الحالة وتعلموا اولادكم
ابو دعموم	نعلمهم فين يا خي
الوطن	تعلموهم في الكتاتيب
ابو دعموم	لهم عمي يا اجور العين ان شا الله ما يروح الكتاب الا انت

الوطن	ما دمت تأنفون من العلوم تعيشون اذلاً وتموتون اذلاً
ابو دعموم	قل للي قاعدين في البنادر قبله ام دول عندهم معلمين وكتاتيب يامه
الوطن	لا بد ان تتفقوا جميعاً على وحدة التعليم
ابو دعموم	ادي جماعه بندرويه جيين ام اتكلم وياهم وشوف يقولوا لك ايه واحنا لنا فوته عليك مرة ثانيه ونشوف ايه اللي يجره
الحاج حسين	دابقا حال ظلقت احنا رايحين نلاّها منين ولا منين
ابو دعموم	خبر ايه يا اخينه
ابو العلا	يآ منتش عارف خبر ايه دا يآ منطش في الدنيه
ابو دعموم	ليه انا يعني معاشركم في بلادكم وانا عارف عندكم ايه
ابو العلا	يآ مجاش عليكم حاجه من القرده والا الشخصية والاحب الوطن والا الطلنبه والا النفر والا النضافة والا نزح الكنفان والا الدواهي الحاره اللي بنشوفهه دي
ابو دعموم	الله يرحم ابوك لهُ عندكم شي من اللي عندنا خد على صابعك خد ادحنا متحرحرين يا خي في المال والمقابلة والسدس ومصاريف الري والسهوم والمصلح والشخصية وعوايد البهايم والوطنية والاغنام والنخيل والدخوليه
ابو الزلفي	لا وفاتك ياخي عادت الحكيم والمهندس والمزين والمشدات والطوافه وقواسه المدير وخدمينه وسنوية ناظر القسم وخدمينه والعونة والصخرة وطلوع البهايم للشفلك والبنات للقطن والولاد لتنقية الرز والبهايم للشيل والحطب للوابورات وعليقة خيل القواسه وتبنهم
ابو دعموم	لا ولا تنساش شيخ البلد واخد البهايم في غيطه والنسوان في دواره والاولاد تجري وراه ويروح يدّاين من الخواجات ويجي يقول هاتوا يا فلاحين واولاده دايره ترقع في اصداغنا وخدامينه بتلطش فينا ونسوانه بتسخ لنسوانا

ابو الزلفى	لا وخد عندك يبق الانسان طالع من المصله والمشد ينادي يوم يقول المدير عاوز ميت فرخه ويوم يقول غربلوله اردبين غله ويوم يقول عاوز بهيمه حلابه ويوم يقول عاوز بلاصين سمن وداكله يله شيخ البلد وشوف بق يا يوديه يما يوديه
ابو دعموم	لا ونسيت يا خي نزلة المساحة علينا كل ساعه والتاني يقول انتم عندكم زياده والبحر خاف لكم جزيره ويمسك قصبته ويدور يشطط في الغيطان ولا ينكشح عنا الا لما ياخد له سبعين ثمانين ريال
ابو الزلفى	لا وفتنا الداهيه التقيله اللي هو الصريف لما يفضل يديله الواحد يوم اثنين جنيه ويوم عشره ريال ويوم ثلاثين بريزه ويوم عشر خريات ويوم ميت قرش ويجي آخر السنة يقول له وصلي منك سبعين قرش وفاضل عليك عشر جنيه ونكلم الواحد منا ماشكمه شيخ البلد ويقول له بق عقلك والاحساب القلم
ابو دعموم	لا وفات يا خي رمي الكتاكيت على الدور وفلوس الصفصاف وليف الوسيه ومقطيفه وحباله وخشبه وشي مظروط
ابو الزلفى	وفاتك يا خي ضرب الطوب للشفلك وتبن الخلط وحطب الحريق واجرة النفر السهران وعشا البياته واجرة الغفير واجرة الحمير للشيل ونفر العملية واجرة البنا واجرة النجار وطلوع الحجر من المراكب ودق الحمره
ابو دعموم	وفاتك يا خي لما واحد يهج ويرمي طينه على البلد والا واحد يخرب ويوزع دينه على البلد والاعانه ونفر القسم وعشا الغفرا في البحر
ابو الزلفى	وفاتك يا خي الطين اللي ياكله البحر واللي تاخده السكة الحديد واللي يروح في الجسور
ابو العلا	هوه ايه يا جضعان ولما الهم التقيل ضا عليكم ما تو احنا عبيد والسلام ضا شي يقصف العمر
الوطن	اواه من هذه النيران كل هذا احدثه الجهل حتى صيركم كالبهائم تساقون بالعصا

الحاج حسين	السلام عليكم
ابو العلا	وعليكم السلام ورحمة الله و بركاته مرحب بالحاج حسين
الحاج حسين	يا مرحب بالمعلم ابو العلا
ابو دعموم	فوت بنا احنا يا ابو الزلقى منهم لبعض يعرفو شغلهم
ابو العلا	مرحب بالحاج حسين منين وعلى فين يا وليد
الحاج حسين	من ال ... قل وياي يا معلم ابو العلا اللهم صل على سيدنا النبي من المحجر لعمي اللياتي يا وليد
ابو العلا	حقه يا جدع جت له دمعة حشيش من الاضابه لكن صبوه يا وليد
الحاج حسين	وانا كمان شديت من عنده تميره امبارح لكن كانت طؤا
ابو العلا	والكرسي عنده بكام يا مجدع برضه بالارش اياه
الحاج حسين	برضه بالارش انما حاجه صنمه ودا إيه راخر يا معلم ابو العلا
ابو العلا	بسم الله الرحمن الرحيم دا باين عليه عفريت يا جدع
الحاج حسين	لا يا جدع دا باين واحد مقطوع من بتوع التكيه
ابو العلا	ميل بنا والنبي نشوف الداهيه دي ايه انت ياعم بدستور اسم الكريم ايه
الوطن	انا يا ابني محل نشأتك واسمي الوطن
ابو العلا	ومالك كده مبهدل وحالتك عبره
الوطن	بهدلتني اهلي يا ولدي
ابو العلا	وفين اهلك دول اللي بتؤل عليهم
الوطن	ذهبت بهم الايام والليالي
ابو العلا	طيب وقاعد بتعيط ليه بقى وبتبكي على ايه
الوطن	ابكي وانوح على من ورثني بعدهم فانهم اموات في صورة احياء
ابو العلا	ومين دول اللي ورثوك يا خي
الوطن	انت وامثالك
ابو العلا	يا حاج حسين

الحاج حسين	يا نعم
ابو العلا	يا خويه دا قال بيعيط علينا المشوم
الحاج حسين	يمكن ولي يا معلم ابو العلا ومكاشف على موته
ابو العلا	يا خي لالا دا قال احنا اهله ويعيط علينا النطع
الحاج حسين	والله يا شيخ صعب على الوطن ده
ابو العلا	يالله يا خويه بلا وطن بلا وحل احنا بتوع وطن يا عم
الحاج حسين	اقول لك اللي ماله الله له فوت بنا
ابو العلا	يالله يا سيدنا قبل ما تخلص الصهبه
السيد علي	غالباً ينجح ياسيد ابراهيم
السيد ابراهيم	ما اظن يا سيد
الحاج حسين	اقف بنا يا معلم ابو العلالما اشوف الجماعه دول يعملوا ايه
ابو العلا	طيب يا خويه ادين وقفت
السيد علي	تفضل بنا هنا يا سيد ابراهيم
السيد ابراهيم	ايو نقعد نقطع الوقت هنا شويه
الحاج حسين	فوت بنا يا سيدنا دول جماعه آل رايحين يقطعوا الوقت هأهأ
السيد علي	اسعد الله لياليك يا سيد ابراهيم
السيد ابراهيم	اسعد الله يا سيد علي
السيد علي	حقا كانت المباره أمس على رأي المثل يا سيد ابراهيم
السيد ابراهيم	ازاي يا سيد دي كانت ليله
السيد علي	الله يرحم والدك دا كان داهيه كبيره
السيد ابراهيم	تعيش يا سيد والله كان يحبك وشفتله كلام تنزل فيك
السيد علي	معذور يا سيد فاني كنت جميل قوي وكنت اعمل عليه حبتين دلال وسبب حجزي في الحريم ميله اليّ
السيد ابراهيم	واقمت في الحريم كتير يا سيد

السيد علي	لديك النهار لما بكر والجماعه بسلامته صالح
السيد ابراهيم	ما شاء الله يعني وقايه كبيره ياسيد والله اهل زمان كانوا ناس يا سيد علي
السيد علي	سيادتك مش معزوم في فرح السيد سرور
السيد ابراهيم	يا خي دا صاحبي هوا ده يلزمني منه عزومه انا اروح كده فانه من اخوانا
السيد علي	بغلتك ما جتشي نركب بقا
السيد ابراهيم	يخي على ايه نمشي ندندف كده لحد هناك دي مسافه قريبه
السيد علي	قريبه ازاي يا سيدينا و بين الفرح نحو حاره ومين فيه همه لحد هناك يا سيد براهيم
السيد ابراهيم	انا والله يا سيد وحيات جدك قعدوا يكبسوني اربع ساعات لما درت وتحركت
السيد علي	انا امبارح سهرت نحو الساعه ٢ صبح دماغي مقلوب عدوك
السيد ابراهيم	اثنين اثنين انا بقى لي اربعين سنه اصلي العشا وانام ومع ذلك تعبان
السيد علي	فيه حاجه قال اسمها الكبسون
السيد ابراهيم	يخي دي اسمها الكمسون من بلاد النصارى
السيد علي	ما تفرجتش عليها يا سيد ابراهيم
السيد ابراهيم	اهي في الازبكيه ولها لولب بتدور عليه
السيد علي	دول بيقولوا انها بني ادم يا سيد
السيد ابراهيم	اي لاه انت تصدق كلام زي ده
السيد علي	طب و بتحكم على الناس ازاي
السيد ابراهيم	ولا بتحكم ولا بتكلك بقى انت يا سيد نسيت العساكر الي طلعوا زمان اهو زي ما قالوا دول بتكلموا قالوا دول بيحكمو
السيد علي	بقى يا سيد حضرتكم متعرفش حقيقة الكمسون دا يطلع زي مجلس يشوف الدعاوي ويقطع فيها حكم بين الناس

السيد ابراهيم	لا وحياتك يا سيد دي عبارة ملفأ والسلام
السيد علي	تقول لك احنا مالنا ومال الكلام ده احنا نشوف حالنا والسلام
السيد ابراهيم	ايوه كده احنا مالنا ومال خوتة الدماغ احنا غلبنا النصاره اللي كل ساعه يقولوا الدنيا جرى فيها ايه والجرانيل قالت ايه والتلغرافات عادت ايه كأن الدنيا ملكهم
الوطن	اين رجال الفتوه اين رجال النجده
السيد ابراهيم	جاك داهيه في لتك وعجنك
السيد علي	ودي ايه كان يا سيد ابراهيم
السيد ابراهيم	دا يا سيدي راجل كل ساعة يلت ويعجن في الكلام الفارغ
السيد علي	بقى حضرتك تعرفه من زمان
السيد ابراهيم	اعرفه جاته داهيه
السيد علي	واسمه ايه يا سيد
السيد ابراهيم	يقولوا عليه اسمه الوطا والا هو الوطن
السيد علي	وايه قضيته يا سيد
السيد ابراهيم	قضيته انه تلي يقول اهلي اولادي ويدور على الاقدمين
السيد علي	واحنا مالنا ومال الاقدمين احنا في ايه والا في ايه
السيد ابراهيم	بالله متكدرش ذهنك فيه احسن كلامه زي الحبل الصوف كل ما تشده يمط
السيد علي	لكن الذوق يا سيد انا نسأله عن حاله
السيد ابراهيم	استحسانك يا سيد علي
السيد علي	اسعدتم يا سيد
الوطن	اسعد الله لياليكم اين انتم ايها السادات
السيد علي	نحن نتذاكر في حالك كيف اصبحت
الوطن	اصبحت في حالة بؤس وانتم مشتغلون عني بالملاهي ولا همة لكم

السيد علي	المقادير تأخذ حدودها يا سيد احنا بيدنا إيه
الوطن	ارتكانكم على المقادير عجز وخروج عن حد الشريعة فانها ماجاءت الا بالاصلاح وخروج الانسان من دركة الجهل الى درجة العلم والانتقال من الخشونة الى التمدن ومن الهمجية الى الانسانية
السيد علي	أما التمدن فلا يخفاك ان المصريين أهل ذوق واحساس وأما الاصلاح فان كلامنا له مندره واسعه وحوش عظيم فلا كلام لك في ذلك
الوطن	الاصلاح غير ما تعرفون فانه عبارة عن افتتاح المدارس ونشر المعارف والتفنن فيما يجلب الثروة ويحفظ الامة
السيد علي	المدارس دي شغل النصاره ونحن عندنا الكتاتيب كفايه وهي مليانه من العمي والمكسحين
الوطن	هذا هو عين الخراب تتركون الاصحا جهلا لا يتعلمون فيخرجون كالبهائم
السيد علي	هو احنا يا سيد رايحين نعمل قضاه بزياده في كل بلد واحد عالم يعمل الدعاوي ويرد الطلاق
الوطن	العلم واجب على كل انسان حتى يعرف نفسه وثمرة وجوده
السيد علي	الكلام ده للانقليز والفرنجيله وأما احنا اولاد مصر أهل الرقة والذوق والاحساس والنكته
الوطن	هذا لا يفيد الا التأخير والذل وضياع الحقوق وخراب الديار
السيد علي	سيد ابراهيم دا بينه مصطول فانه ما بيدركشي شيء
السيد ابراهيم	قلت لك انه يلت ويعجن عملت لي الذوق مع النحس
السيد علي	هو كلامه صحيح ولكن مع مين
السيد ابراهيم	بالله عليك احنا بتوع علوم والا معارف اهو كله كلام هلس والسلام
السيد علي	تفضل بنا نروح القرح بلا خوته كدابه
السيد ابراهيم	تفضل بنا داهيه تضايقه دا واحد يخنق
السيد علي	ودا ايه اللي جاي ده يا سيد

السيد ابراهيم	دا واحد اسكندراني اهو اللي زى ده اللي يخلص من حقه
السيد علي	يضربه والا ايه يا سيد
السيد ابراهيم	ايوه يضربه باللكميه يموته ويريح الناس منه
السيد علي	بالله تقمد بنا لما نشوف يعمل ايه
السيد ابراهيم	يمكن يضربنا معه دول اولاد اسكندريه عفاريت خليك بعيد امال
السيد علي	ادين بعيد
الحاج رزيجه	يا ترى الراجل راح فين
ابو رجب	ما تجرب الا النوطلع
الحاج رزيجه	هو الجارب خلص من العمره
ابو رجب	وبجا لو يومين في المينا يا راجل
الحاج رزيجه	اسمع أما نجول لك
ابو رجب	هوي هوي
الحاج رزيجه	انت سمعت باللي طلع في سكة الجباري اليوم
السيد علي	دول كلامهم يفلق الكبد قم بنا يا سيد
السيد ابراهيم	قم بنا ما انتش سامع بيقولوا النوطلع ومع ذلك رايحين يسافروا
السيد علي	ما اظنش يا سيد دي رؤية البحر تخوف
السيد ابراهيم	دول لا يبالوا بالبحر ولا بالغرق لانهم اقويا جداً وشطار
ابو رجب	دول ايه يا حاج رزيجه
الحاج رزيجه	دول جماعه من بتوع لا مؤاخذه كلبي عندك ودهده ده
ابو رجب	دول بجا من اللي يسرحوا الضهر ويناموا المغرب . راجل ايه اللي طلع في سكة الجباري
الحاج رزيجه	بيجولوا واحد اسمه الوطن والناس بتروح تتفرج عليه
ابو رجب	نروح يا خويه نروح نتفرج هو احنا مش بني آدم فين الراجل ده
الحاج رزيجه	اهو الراجل اللي جاعد ده

ابو رجب	هو دا الوطن اللي بيجولوا عليه
الحاج رزيجه	اهو هوّ المياس ده
ابو رجب	انت هو ياخواجيه
الوطن	نم يا سيدي
ابو رجب	مالك مجعب كده
الوطن	انا المسكين الغلبان اللي تركوه أهله
ابو رجب	أهلك دول مين وراحوا فين
الوطن	انتم أهلي وتركتموني وذهبتم الى الجهل واتباع الهوى
ابو رجب	وعايزايه دي لوكت
الوطن	عاوز تتعلموا الانسانية وتكيدوا اعاديكم
ابو رجب	اعادينا دول فين بس جول لي وانا نكطع زندي ان ماكنتش نطلع عينهم
الوطن	لا ياوليد القوة والعافية مع الجهل لاتفيد شيء لابد من العلم
ابو رجب	والعلم فين انا نجيبولك حالاً
الوطن	العلم في صدور الرجال وبطون الكتب ويؤخذ بالتعلم في المدارس
ابو رجب	ياحاج رزيجه
الحاج رزيجه	مالك يا ولا
ابو رجب	بيجول ماش عاوز حاجه غير العلوم
الحاج رزيجه	ايه دانا معاي علين من واحد جباني
ابو رجب	لما نوريهم له
الحاج رزيجه	خد اهم
ابو رجب	شوف العلوم اللي انت عاوزهم زي دول
الوطن	وابلوتاه واحسرتاه ضاعت الانسانية وصارت الناس بهائم العلم عبارة عن المعارف والصنايع لا ورق القباني
ابو رجب	احنا ناس شغاله يا عم ونجيب المعارف منين ما تجول للي عندهم فلوس

وبايتين يركوا عليهم زي الفراخ

الوطن: يا ولدي المعارف في المدارس والورش واذا كنتم تبتدوًا يتبعوكم الاغنيا فانهم عمي عن طريق التقدم الا بمرشد والفقراء هم اصل كل شيء

ابو رجب: تما يا حاج رزيجه نلم عشر فليكيه نشاورهم

الحاج رزيجه: والفلايكيه حيلتهم ايه

ابو رجب: اهو على جد زيتك خايل له ويمكن نكون احنا السبب

الحاج رزيجه: يودونا في داهيه ويجولوا عاملين عصبه

ابو رجب: لا يا شيخ هو العلم حد يكرهه انت منتش شايف الحكومه بتكتر في المدارس لاجل تعلم الناس ويعملوا زيها ويساعدوها

الحاج رزيجه: يا بو رجب دا شي عاوز فلوس واحنا مالنا وماله

ابو رجب: بلاش شرب دخان ونحيي الراجل ده من العدم

الحاج رزيجه: ما يروح لغيرنا هو بس احنا اولاده

ابو رجب: والله يا خويه انا توكلت على الله ورايح اطاوعه والسلام

الحاج رزيجه: والله يا خويه الفنجره في الطنجره مش في العلوم

ابو رجب: انت يا جدع يا وطني عاوز ايه انا خدامك شوف هو ايه اللي يريحك وانا اسعى فيه وربنا يعين

الوطن: لم لك جماعة واجمعوا من كل واحد كام قرش وافتحوا محل ربوا فيه اولادكم لئلا يطلعوا بهايم مثلكم

ابو رجب: تما يا حاج رزيجه هات قرنك

الحاج رزيجه: هو انا مجنون زيك القرنك اجيب به نص وجة لحمه

ابو رجب: اولادنا يا شيخ يطلعوا بهايم

الحاج رزيجه: ليه هو الولد مش رايح ينفع في صنعة ابوه

ابو رجب: يمكن ما يفلحش

الحاج رزيجه: يبقى يروح يميس على البحر ويطيرله حاجه من الخواجات

ابو رجب	وان مسكته الظبطيه ياوليد
الحاج رزيجه	ييجي يروح في داهيه ويريحنا منه ومن أكله
أبو رجب	ابنك يا شيخ تدعي عليه
الحاج رزيجه	انا ابني يا عم زندي والجرش
أبو وجب	اجول لك عمر الحمار ما ينفع انا اشوف جماعة غيرك
الحاج رزيجه	ان حد طاوعك ابج شخ على جبري
ابو رجب	بكره تشوف الرجاله وتيجي تتندم
الحاج رزيجه	يجي روح اهو بس مجنون اللي يطاوعك
أبو رجب	انت يا جدع ياوطني ما تفتكرش والله لحليك حظ
الوطن	الله يجمعك على أهل المروة والاحسان ويحفظك من الفجر الاندال
أبو رجب	انا رايح اجتهد واللي في الغيب عجب
الوطن	الله يقويك بس ابعد عن أهل التعصب والافساد فانهم يقلبون الخير شراً ويخلوا الناس يسؤو الظن باجتماعكم
أبو رجب	أهل الفساد دول مين انا ما اروح إلا للراجل اللي يحب يسعى في تربية الايتام والارامل لوجه الله
الوطن	ما دمت على هذا القصد فان سعيك يكون محبوباً عند كل الناس اهم جماعة افنديا جايين لما نشوف افكارهم في ايه
عزت افندي	نهارك سعيد يا جدع يا سكندراني
أبو رجب	نهارك سعيد يا بلديي جاي منين يا اخي
عزت	من الديوان ما شفتش مظهر افندي
أبو رجب	اهو جاي من بعيد اهو
عزت	بنجور يا مسيو مظهر
مظهر	بونجور عليك يا منشير عزت
عزت	دورت عليك في بيرة فنك وتريسته وكل البير كنت فين حضرة جنابك

مظهر: كنت في الجنينه لكن كانت ليله حظ يا من امي

عزت: كنت انت ومين يا اخي

مظهر: ويا عزت افندي وابراهيم بيه وحسن بيه والسيد مصطفى والحاج علي والمعلم موسى

أبو رجب: والله ما دامت العصبة دي كلها سكريه قليل ان لجيت واحد يسعى وياي في طريج المعارف الله يعوضنا خير في الناس

مظهر: دا بيقول ايه الراجل ده

عزت: سيبه ده مصطول وايه كانت نكتتكم في التسالي

مظهر: كان الشرب مستكه خالص والسجاير حشيش صرف وهنك ورنك زي ما انت عارف لحد الشمس

عزت: والمصاريف كانت على مين يا من امي

مظهر: على اخوك ياوليد لوحده

عزت: وكتير يا سيدي

مظهر: خمس طاشر جنيه ورهنت الساعه عند اسمها إيه على خمسه جنيه ولسه بقيالها

عزت: شكوزي ويولع السجاره

مظهر: بردون يا خويه

عزت: وانا كمان كنت في دعكه عظيمه في البيره مع الجماعه اياهم

مظهر: الليله دي رايح اعمل حتة حظ وستين سنه الواحد يشوف له يومين والسلام

الوطن: ان تمادي الناس وخصوصاً مثل هؤلاء على هذا الحال فقل على الوطنية والوطن يا رحمن

عزت: سكردي كشون ودهده ده

مظهر: دايا سيدي اللي اسمه الوطن

عزت — وماله صبح في حاله زي الزفت

مظهر — واحنا مالنا دا شيء يكدر بالله ما تشغلش بالك به

عزت — اصبر لما نسأله احسن له اصل

مظهر — طيب يا خويه دى الوقت ما تسمع منه الا الترزيل والكلام الفارغ

عزت — بونوسوار يامسيو الوطن

الوطن — انا عربي محض واعرف اللغات على قواعدها وأراك تكلم بالفرنساوي على غير انتظام

عزت — كسك سكساه على غير انتظام امواه متعلم في اكس

الوطن — وماذا تعلمت هناك

عزت — تعلمت شيئاً كثير ويمكن اقول لك كل العلوم

الوطن — وما الذي صنعت هناك بعلومك

عزت — انا رايس ترجمان في القنصلاته

الوطن — اواه على ضياع أهلي حتى الذي يعرف منهم كلمتين تنفع به الاجانب

عزت — مسيو الوطن انت بدك اموت من الجوع وكم الف غيري يعرفوا السن ودايرين صايعين من الجوع

الوطن — كل هذا من جهلكم لو كنتم تعرفوا المعارف والصنائع كانت الحكومة فتحت لكم الورش والمعامل وغمرتموني بثمرات اتعابكم

عزت — احنا كلنا نكره بعضنا وان شفنا واحد من أهل المعارف نضحك عليه المقصود من المعارف ايه مش الانسان يتحصل على المعاش والاشياء اللازمة للنكتة

الوطن — انا شايف أهل المعارف عندكم قليلون والبعض في زوايا الاهمال والله ما سبب نكبتي الا أهل النكته

عزت — بقى اشكوزي انت بتخرف دي النكتة هي المقصوده وهي ثمرة الانسانيه في بلادنا

الوطن	ولما كنت في اكس كانت أهل النكته والاهالي كذلك
عزت	دول يا مسيو طول النهار يقروا في الجرانيل ويسألون عن الاحوال وما فيه صالح بلادهم وزيادة سطوة حكومتهم وتعزيزها
الوطن	ولم لم تفعلوا فعلهم هنا وانتم انسان منهم
عزت	هناك الاغنيا كلهم في جميات اللي في صنائع واللي في معارف واللي في تجاره فبالضروره تزداد سطوتهم وسطوة ملوكهم
الوطن	وما المانع من كون الجميات تكون هنا مثل هناك
عزت	هنا الاغنيا مقتصرين على استخدام الفقراء والهدوم النظيفة والمآ كل والمشارب واذا اجتمعوا يفتخروا بالطباخين والجوار والخدامين والبيوت وهلم جرا من الهذيانات الفارغه
الوطن	وانت لما علمت أحوال اوربا لم لم تخطب قومك بما يرشدهم للاصلاح
عزت	شوف انت الحكومة لها زمن تهذب في اخلاقهم وتعلمهم العلوم بحيث تأخذهم من بلادهم في الحديد فاي كلام يؤثر فيهن يتعلم في السلاسل ومع ذلك فان الخطيب الشرقي غلب كلام والناس جاعلين خطابته تسالي زي قصة عنتر وابو زيد
الوطن	وانت تعرف مقام الخطابة فما الذي يمنعك عن سماعها
عزت	صحيح في دي لك حق ولكن انشاء الله من الآن فصاعد احضر
الوطن	حفظك الله وثبت عزائمك يا انسان
عزت	بونسوار مظهر
مظهر	بونسوار مسيو عزت
عزت	اما اقول لك على مسئله
مظهر	تفضل يا منشير
عزت	ما تجيش بنا نروح نسمع الخطابة وندخل الجمعيه
مظهر	لالا يا مسيو الخطيب كل ليلة يقول امثال ونكت لعنه

عزت	ما هو معذور يا اخي الراجل رايح يموت نفسه عشان جهل اهل الوطن وتوحش طباعهم
مظهر	واحنا رايحين نعمل ايه ان كان عاوز له كام نص نلمهم له
عزت	انا اعرف حق المعرفة انه لا يريد الا تقدم المعارف
مظهر	وماذا تنفع المعارف اقله تحوشنا عن البيره وده شيء موت
عزت	يعني يا سيدي اذا طاوعناه واجتهدنا في ازالة الاوساخ عن الوطن يجرى ايه
مظهر	يروح لاصحاب الفلوس يا سيدي
عزت	اصحاب الفلوس بخله وبجهلهم لا يعرفوا قدر المعارف
مظهر	بالله تفضها وفوت بينا نشوف اخوانا اهم دي الوقت يكونوا زعلوا على تأخيرنا
عزت	يبقي بس رجالة حكومتنا اللي ربنا حطهم في سهر وتعب ليل ونهار في اصلاحنا واحنا دايرين زي البهايم لا احنا عارفين قدرهم ولا قدر انفسنا
مظهر	دول تعبهم على شان وظايفهم يا مسيو
عزت	لو كان كذلك لكانوا يقتصرون على قعودهم في الدواوين من غير شغل ولكن سهرهم في اعمال القوانين وخلوصنا من الورطات دليل على انهم لا يريدون إلا الاصلاح والعمار
مظهر	اهم في حالهم واحنا في حالنا فوت بنا
عزت	اقول لك يا مسيو انا عزمت على خدمة وطني بروحي
مظهر	بكره نشوف لما ترجع تتندم على ليالي الحظ اللى تفوتك
عزت	لا والله ما اتندم على شيء بعد كوني رايح اخدم وطن يرق لحاله القلب القاسي
مظهر	بس منش شايف حد يساعدك على كده

عزت	متى أخـذنا في الاسباب تجتمع فيه اهله من كل فج وتفتخر بهم على الزمان المتمدم الذي اعدمهم
مظهر	انا يا مسيو على مذهب أهل بلادنا تبات نار تصبح رماد لهـا رب يدبرهـا
عزت	والله يا خويه احنا مأمورين بالسعي والاجتهاد فان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ودي الوقت تشوف اخوانا لما يحضروا من سائر الجهات فقبل ما يسبقني أحد لفعل الخير انا خدامه انا خدام اشهدوا يا اخوانا
عزت	رجعنا نندم ونقول ليتني كنت معكم
مظهر	انا يا اخي ما كنت اظن ان اخواني الوطنيين تحرك فيهم غيره
عزت	يا مسيو الناس على دين ملوكهم والحكومة فتحت نحو خمسين مدرسة فتى شاركتها الجميات في هذا السعي زادت قوتها واتسعت تجارتها وانتشرت المعارف
مظهر	وانتم عملتم إيه لما فتحتم المدرسه
عزت	ولا حاجه اجتمعنا كم نفس وكل واحد فرض على نفسه مبلغ جزئي وفتحنا مدرسة نربي فيها الايتام ابتغاء مرضات الله
مظهر	والله انه عمل جميل لا بد ان اكون معكم
عزت	واقول لك يا مسيو اذا وافانا عصر التوفيق فلا نعود نتذكر الجهالة وما نحن عليه من الخشونة والهمجية
مظهر	يعني الناس تعرف قيمة المعارف
عزت	ابشر يا اخي حتى العوام دي الوقت مالهم كلام الا في المعارف وما بقى نجار ولا حمار الا وارسل ابنه المدارس
مظهر	دا تقدم كبير لا بد وان يموت الجهل موتة لا ينشر بعدها
عزت	انظر ادي اثنين حشاشين جايين شوف كلامهم في ايه
الحاج حسين	أما والله عجيبه بس احنا اللي باتنا بهايم

ابو العلا	خبر إيه ياحاج حسين ما أنت بخير
الحاج حسين	يا معلم ابو العله بشوف الطفل الصغير ماسك كتاب والكبير ماسك كتاب والبعض منا ماشي تايه محناش في الدنيا والا ايه الناس كلها اتنبهت واحنا في غفله
ابو العلا	بس كضه يبقى منتش عارف ان الدنيا اتأدمت الا دي الوئت الزمان اتألب وبأت الناس بشأه
الحاج حسين	واحنا بأملناش الا الغابه والهم الكبير
ابو العلا	الحأ على اهلنا اللي ربونا تربيه ظفت
الحاج حسين	ودي الوءت مابآش فينا رمأ
ابو العلا	ما بآش الا نربي اولادنه والا يطلموا حمير زينه
الحاج حسين	نربيهم فين وكلنا اجهل من بعض
ابو العلا	نربيهم في المضارس لان الحاجات الصنعه كلها فيها
الحاج حسين	المدارس عليها فلوس كيره ياخويه واحنا ماحيلتا مامعناش ولا باره
ابو العلا	وبعدين نعمل إيه في الاولاد نسيبهم بجلهم زينه
الحاج حسين	انا افتكرت حاجه ياوليد وهي عين الصواب
ابو العلا	أول يا خويه لما شوف
الحاج حسين	من حيث اننا في اسكندريه وفيها مضارس للجمعيات فانا راجل بنه اشتغل في الجمعية بتلتين اجره واحط ابني يتعلم بالباأي ويعطوه الكتب إحصان
ابو العلا	اذا كان كضه انا آخد شغل البياضه واحط ابني ويا ابنك
الحاج حسين	بص الطريئه ايه في دخولنا في الجميه يا جضع
ابو العلا	ولا طريئه ولا يحظنون احنا نروح لهم وناول يا اخوانا احنا اولاد وطنكم وأنتم بتأبلوا الغريب فربوا لنا اولادنا وهم احب ماعليهم
الحاج حسين	لكن يا جضع دول بياخدوا فلوس على اللي يدخل جديد

ابو العلا	الكلام ده يا خويه للوجوه المعتبره والمعتمدين اما الغلابه اللي زينه يابلوهم شادلي من غير اجره
عزت افندي	شايف العقول تنورت ازاي
مظهر	على هذا المنوال لايمضي زمن وجيز الا والوطن كله معارف
عزت	لا ولسه ياما تشوف
مظهر	تعالى بنا فرجني المدرسه
عزت	اصبر لما نشوف اللي جاي ده رايح يقول إيه
ابو الزلفى	على المدرسة منين يا جدعان
الحاج حسين	انهي مدرسه يا اخينا
عزت	برده بيسال على المدرسه تفضل بنا
ابو الزلفى	اللي فيها المعلمين يم
الحاج حسين	انت تأرا فيها بعد ما شبت صدأ المصل بعد ما شاب وضوه الكتاب
ابو الزلفى	داموش انا يا اهبل انا انجطع النفع مني دول الاولاد الصغار
الحاج حسين	واللي دلك على المدرسه مين
ابو الزلفى	شايف الصريف بيتحكم فينه والكاتب بيتحكم فينه وداكله بالجلا وانا مبديش ابني يتحكم فيه الصريف ويا كل ماله
الحاج حسين	يامعلم ابو العله
ابو العلا	سامع ياحاج حسين
الحاج حسين	شايف الفلاح اللي عرف سر الأمُ
ابو العلا	ما الت لك يا الله بينا بزياده اللي فات هوكاتب العماره موش مورينا الضيء بأمله
الحاج حسين	بأما اخدمش انا وربي ابني يطلع يترحم علي
ابو العلا	الا بيدك يا شيخ يا الله بينا يا الله

ابو دعموم	الله يا بو الزلق
ابو الزلق	مالك يا سخام الطين
ابو دعموم	اشمنا لما جرجس اللي جد العينه يعرف بجرا واللوح اني لحد دي الوجت ما يعرف الالف ملمادنه
ابو الزلق	من لمعلم لوكان زي الناس كان من امته بجي جندي
ابو دعموم	لمعلم اجور صحيح لكن زي اللهلوبه في الجرايه
ابو الزلق	الجرايه مالها هو مادام أجور يعرف يفك الخط ازاي
ابو دعموم	ها من جبيل الخط مايعرفشي ياشيخ
ابو الزلق	وطيب بجا ايه اما المدارس يعلموا فيها المحووط الخط واللكلاك النحوي وحساب الجصبه وشي مظروط
ابو دعموم	الله يا بو الزلق اظن الباشا المدير يعرف دا كله
ابو الزلق	جينا بجا للت والعجن دا يعرف الكفت
ابو دعموم	ومين علمه يكنشي مخاوي بسم الله الرحمن الرحيم
ابو الزلق	ممخاوي وله الا علموه في المدارس من صغره
ابو دعموم	بجا امال ياخويه المدارس دي عليها رك
ابو الزلق	الله يا دايم هو لولا المدارس كانت الدنيا عمرت
ابو دعموم	يا الله جل رحمة اللي راحم وجلجل الطوبه اللي تحت راسهم
ابو الزلق	ليه الله يجير
ابو دعموم	طلعونا زي البهايم يعني ناقصناش الا الرواسه
ابو الزلق	يعني كانشي مدارس في مدتهم ولا علموناش
ابو دعموم	وليه هم ماعملوش مدارس مادى ودى بالفلوس
ابو الزلق	وكانوا يجيبو معلمين منين داهيه
ابو دعموم	من الداهيه اللي تخدني انا وياك بجا يابو الزلق رايح تجر مرارتي
ابو الزلق	إيه عوار يتلف عينك ماجلنا اللي فات فات

ابو دعموم	طيب ادين خرجت ورايحين تعمل إيه دي الوجت
ابو الزلفى	نخدو الاولاد نوديهم المدرسه ونتكل على الله
ابو دعموم	خير ياشب ايدي ويدك واللي فيه الخير يجد موار بنه
ابو الزلفى	انت منتش شايف اللي واخدين أولادهم ورايحين
ابو دعموم	على الله على الله جال ايش في خاطر لعمه جال جفة عيون
ابو الزلفى	وادي النبوت يا لله يا رجال السلسله
ابو دعموم	واللي يبجي يودي لهم الزواده مين
ابو الزلفى	زواده إيه دول رايحين مدرسة الميري
ابو دعموم	ويأ كلو منين
ابو الزلفى	من عند أفندينا يا راجل ربنا يطول عمره يطعمهم ويكسيهم ويديهم فلوس ويربيهم في عزه هو زيّه حد يم
ابو دعموم	والله طيب دا بجا ملك عادل ومحسن
ابو الزلفى	هو عادل وبس دا واحد ماجا حد زيه مطلج
ابو دعموم	ياشيخ ربنه يطول عمره ويكمد عدوه
ابو الزلفى	امال له الحكومه لعبه دي مالها الا كل بطل
ابو دعموم	اجرن الناس كلها بتدعي له وفرحانين به
ابو الزلفى	أهوان كان هوه والاالكبرات اللي وياه كلهم أهل خير وطيبين ياشيخ
ابو دعموم	والكبرات الا وياه رخرين
ابو الزلفى	يبجي منتش شايف اللي كل يوم والثاني يبطلوا من علينا احلام
ابو دعموم	آى من جج يا بو الزلفى والله أنت بتفضل حافض يا مشا الله
ابو الزلفى	يه شوف الناس اللي كانت فاتت بلادها رجعت
ابو دعموم	دول عرب ياخويه
ابو الزلفى	أيوه ماكانت الناس هجت عرب وفلاحين
ابو دعموم	اصبر لما نشوف جايين منين

بدر	أيها الوطن العزيز
ابو الزلفى	سير بنا وحياتك الوطن ليمر ويجي عجب
ابو دعموم	الله يعمره و يصلح حاله
بدر	إني أتيت اليك من صنعا بعد الشدة والبأسا قافلا اليك ياوطني ومحل سكني وقد أخذتني هزة العرب وحركتني حمية الطرب فقلت أبياتاً اذم بها ذاك البلد وامتدح أهلي رجال القوة والجلد
الوطن	هات اسمع لا يفضض الله فاك
بدر	لاحبذا انت ياصنعاء من بلد ... ولا شعوب هوى مني ولا نقم ولن احب بلاداً قد رأيت بها ... عنسا ولا بلداً حلت به قدم اذا سقى الله ارضاً صوب غادية ... فلا سقاهن الا النار تضطرم وحبذا حين تمسى الريح باردة ... في جو مصر وفتيان به هضم
عامر	عم صباحا يابدر
بدر	أنعم الله عليك بجلائل النعم
عامر	فيم وقوفك على الاطلال
بدر	ان هذا وطني لا اطلال
عامر	ما ارى الا اثافي تذرو عليها الرياح
بدر	خانتك عيونك هذه بيوت وقصور
عامر	ان كانت هذه قصور فاين القبور
بدر	عهدي بها طويل ولست ادري ما غيرها
عامر	وماذا كنت تنشد قبل وفودي عليك
بدر	كنت اذم صنعاء اليمن وامتدح هذه الاثار
عامر	هي حقيقة بالندب والرثا لا المدح والثنا
بدر	يبكي اهىء اهىء اهىء ويقول قد كنت اشمت في المقامة سادرا ... فنظرت قصدي واستقام الاخدع

	وفقدت اخواني الذين بعيشهم قد كنت اعطي ما اشاء وامنع
	فلن اقول اذا تلم ملمة ارني برأيك ام الى من افزع
	وليأتين عليك يوم مرة يبكي عليك مقنعا لا تسمع
	آه
عامر	اهئ اهئ اهئ الحر يستبكى فيبكي ذكرتني الظعن وكنت ناسيا
	اني ارقت فلم اغمض حاري من سيء النباء الجليل الساري
	من مثله تمسي النساء حواسرا وتقوم معولة مع الاسحار
	افبعد مهلك فتية في مصرها ترجو النساء عواقب الاطهار
	ما ان ارى في قتلهم لذوي النهى الا المطى تشد بالاكوار
	ومجنبات ما يذقن عزوفاً يقذفن بالمهرات والامهار
	ومساعرا صدىء الحديد عليهم فكانما طلى الوجوه بقار
	من كان مسروراً بمهلك حيه فليات نسوتنا بوجه نهار
	يجد النساء حواسرا يندبنه يلطمن أوجههن بالاسحار
	قد كن يخبان الوجوه تستراً فاليوم حين برزن للنظار
	يضربن حر وجوههن على فتى عف الشمائل طيب الاخبار
	آه
بدر	وقاسمني دهري بني مشاطرا فلما انقضى شطره عاد في شطري
	الا ليت امي لم تلدني وليتني سبقتك اذ كنا الى غاية نجري
	وكنت به اكني فاصبحت كلما كنيت به فاضت دموعي على نحري
	وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا فاصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري
سلمى	اي عامر
عامر	لبيك يا سلمى
سلمى	اين ديارنا
عامر	ها هي التي انت بها يا سلمى

سلمى | وارجالاه

ما للديار وربوعها تتهدم   والدهر يأتي بالدمار ويقدم
اين المنازل والقصور وأهلها   اين الجياد وفرنها والضيغم
اين الذين اذا تبدى خصمهم   في جيشه مستأسدا لم يهزموا
اين الذين غزوا بقوة جاشهم   فعلوا على كل الورى وتحكموا
اين الاولى طردوا الجياد الى العلا   فدنت اليهم من علاها الانجم
يا دهر غيرت المعالم فاتئد   وارحم فتاة بالهنا لا ينعم

دعد | اين الديار

عامر | ها هي التي انت بها يا دعد

بدر . | ما الذي غيرمنك المعالم وهد الشوامخ ودرس المآثر وصيرك مأوى الوحوش ومسرحا للذئاب فلا اسمع فيك الا غرابا ينعق وثعلبا يضج وذئبا يعوي

دعد | اواه مما تتقيه الاسهم   خطب به نار الحشاشة تضرم
يا ربع انسي والوجود فداؤه   اني انادي هل تجيب وترحم
اين المرابد والمرابع والربي   اين الرجال ومن به استعصم
اين الذين اذا تأخر جارهم   عرفوا له حق الجوار وقدموا
اين الذين اذا تلم ملمة   طاروا على رأس العدو وحوموا
شلت يمينك يا زمان فجعتني   بذهاب من يقري الضيوف ويكرم
يامي قومي ساعديني في البكا   ودعي اللثام فقد تولى المحرم

مي | يا دعد مزقت اللثام   وسلبت من جفني المنام
وضربت وجهي بالتي   كانت تقبلها الكرام
من اصبحت في حالتي   لا تتقي عين الانام
يا طالما سلت سيو   ف اعزتي حول الخيام
يا دعد من يحمى الحما   والقوم ما فيهم همام

يا دعد من نشكو له · والجار قد خفر الزمام
يا عين جودي بالدما · واسقي الربي بدل الغمام
يا نار حزني حرقي · قلبي وزيدي في الضرام
يا حسرتي يا نكبتي · يا بلوتي ردنا الهيام
مات الاولى عرفوا العلا · فعلى منازلنا السلام

عامر يا بدر

بدر لبيك يا عامر

عامر اني وانا مرتحل مررت على كرام وفي وسطهم فتى يتذكر في اصلاح الشؤن بهمة وحمية واراهم بالفين في بلادك كل مبلغ من العمران فان الذي في وسطهم

فتى عزلت عنه الفواحش كلها · فلم تختلط منه بلحم ولا دم
كان زرور القبطرية علقت · علائقها منه بجذع مقوم
عملس اسفار اذا استقبلت له · سموم كحر النار لم يتأسم
اذا ما رموا اصحابه بجبينه · ترى الليلة الظلما لم تتهكم

فزحزح الهم ما استطعت ولا تبتئس على ما فات فاستفرح بما هو آت فقد سمع نداك مجيب وكل آت قريب

بدر اظنك يا عامر صادقاً فيما تقول فاني ارى وافداً في برة الشعراء فلعله من اتباع الامير الذي اشرت اليه

عامر اين هو

بدر ها هو مقبل يقصد حينا

الحطيئه يا بدر

بدر لبيك يا واعظ العرب

الحطيئه يا عماه العمران يحتاج الى مكارم الاخلاق فخذمني ابياتاً فصيحة واعمل بها فانها نصيحة

بدر	هات لا يفضض الله فاك
الحطيئه	يا بدر والامثال يضربها لذي اللب الحكيم دم للخليل بوده ما خير ود لا يدوم واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم واعلم ان الضيف يوماً سوف يحمد او يلوم والناس مبتنيان محمود البناية أو ذميم واعلم بني فانه بالعلم ينتفع العليم ان الامور دقيقها مما يهيج له العظيم والتين مثل الدين تقضاه وقد يلوي القديم والبغي يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم ولقد يكون لك البعيد اخا ويقطعك الحميم والمرء يكرم للغنا ويهان للعدم العديم قد يقتر الحول التقى ويكثر الحمق الاثيم يملى لذاك ويبتلى هذا فايهما المضيم والمرء يبخل في الحقوق وللكلالة ما يسيم ما بخل من هو للمنون وريبها غرض رجيم ويرى القرون امامه همدوا كما همد الهشيم وتخرب الدنيا فلا بؤس يدوم ولا نعيم كل امرئ ستئيم منه العرس أو منها يئيم ما علم ذي ولد ايثكله ام الولد اليتيم والحرب صاحبها الصليب على تلاتها الغروم من لا يمل ضراسها ولدي الحقيقة لا يخيم واعلم بان الحرب لا يسطيعها المرح السؤم

والخيل اجودها المناهب عند كبتها لزوم
فلئن وعيت نصيحتي وعملتها انت النديم

بدر — لا يفضض الله فاك وحفظك ووقاك

النابغة — ها يا عرب

العرب — لبيك يا نابغه

النابغة — مالي اراكم شعثا غبرا مدرجين في اطمار باليه أما سمعتم بشمس البر والرفاهية التي اشرقت على اوطاننا وبدر السعود الذي طلع في سماء بلادنا

بدر — من تعني والى من تشير بهذه العبارة يا نابغه

النابغة — اعني منبت شعر العز في رؤسنا وباعث روح المعارف في اجسامنا اميرنا الذي تحلى باسمه الوجود وعمنا بطالعه السعود ولقد سعدت بالوفود عليه والمثول بين يديه فرأيت مالم اره وسمعت مالم اسمعه فارتجلت قصيدة انشدتها بمسمع من جلالته فانعم وتفضل واحسن وتكرم وانصرفت من ساحته الفيحاء وقلبي معلق بحسن مقابلته ونفسي اشوق للثم اطراف اردانه من الظمآن الى الماء الزلال فاصيخوا الآذان واسمعوا ما أنشدته بالحضرة العلية فبمدحه يحسن الانشاد وباسمه يحلى البديع

العرب — هات يانابغة الزمان وسباق حلبة الرهان فانك شاعر العرب ومعدن الفصاحة والادب

النابغة —

الى من اذا عز النصير نصير ... واين اذا ضاق الفضاء نسير
نصول ونجري والنفوس تقودنا ... لامر به قلب البلاد كسير
اذا فترت في الجد همة طالب ... فكل يسير يرتجيه عسير
اسيرولي في الحي مجد مؤثل ... يزار وحظي في الخمول اسير
وباعي لنيل المجد عند علوه ... طويل وفي نيل القبيح قصير
وان ركضت خيل الرهان الى المرا ... فنهد صفاتي للوفاق يسير

بدر	هات لا يفضض الله فاك
الحطيئه	يا بدر والامثال يضربها لذي اللب الحكيم دم للخليل بوده ما خير ود لا يدوم واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم واعلم ان الضيف يوماً سوف يحمد او يلوم والناس مبتنيان محمود البناية أو ذميم واعلم بني فانه بالعلم ينتفع العليم ان الامور دقيقها مما يهيج له العظيم والتين مثل الدين تقضاه وقد يلوي القديم والبغي يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم ولقد يكون لك البعيد اخا ويقطعك الحميم والمرء يكرم للغنا ويهان للعدم العديم قد يقتر الحول التقى ويكثر الحمق الاثيم يملى لذاك ويبتلى هذا فايهما المضيم والمرء يبخل في الحقوق وللكلالة ما يسيم ما بخل من هو للمنون وريبها غرض رجيم ويرى القرون امامه همدوا كما همد الهشيم وتخرب الدنيا فلا بؤس يدوم ولا نعيم كل امرئ ستئم منه العرس أو منها يئيم ما علم ذي ولد ايثكله ام الولد اليتيم والحرب صاحبها الصليب على تلاتها الغروم من لا يمل ضراسها ولدي الحقيقة لا يخيم واعلم بان الحرب لا يسطيعها المرح السؤم

والخيل اجودها المناهب عند كبتها لزوم
فلئن وعيت نصيحتي وعملتها انت النديم

بدر — لايفضض الله فاك وحفظك ووقاك

النابغة — ها يا عرب

العرب — لبيك يا نابغه

النابغة — مالي اراكم شعثا غبرا مدرجين في اطمار باليه أما سمعتم بشمس البر والرفاهية التي اشرقت على اوطاننا و بدر السعود الذي طلع في سماء بلادنا

بدر — من تعني والى من تشير بهذه العبارة يا نابغه

النابغة — اعني منبت شعر العز في رؤسنا وباعث روح المعارف في اجسامنا اميرنا الذي تحلى باسمه الوجود وعمنا بطالعه السعود ولقد سعدت بالوفود عليه والمثول بين يديه فرأيت مالم اره وسمعت مالم اسمعه فارتجلت قصيدة انشدتها بمسمع من جلالته فانعم وتفضل واحسن وتكرم وانصرفت من ساحته الفيحاء وقلبي معلق بحسن مقابلته ونفسي اشوق للثم اطراف اردانه من الظمآن الى الماء الزلال فاصيخوا الآذان واسمعوا ما أنشدته بالحضرة العليـة فبمدحه يحسن الانشاد وباسمه يحلى البديع

العرب — هات يانابغة الزمان وسباق حلبة الرهان فانك شاعر العرب وممدن الفصاحة والادب

النابغة —

الى من اذا عز النصير نصير — واين اذا ضاق الفضاء نسير
نصول ونجري والنفوس تقودنا — لامر به قلب البلاد كسير
اذا فترت في المجد همة طالب — فكل يسير يرتجيه عسير
اسيرولي في الحي مجد مؤثل — يزار وحظي في الخمول اسير
وباعي لنيل المجد عند علوه — طويل وفي نيل القبيح قصير
وان ركضت خيل الرهان الى المرا — فنهد صفائي للوفاق يسير

اسامح عفواً لا التجاء لزلة ... فاني لارضاء الخصوم فقير

وما عن قلى انأى ولكن اذا اسا ... حبيب اداري والمحب غيور

وما بقليل نبوة في بلاغة ... وذكر جميل ان ذا لكثير

اذا كان نور المجد في حسن هيئة ... فسيان فيه اكمه وبصير

غرور مسير النفس في طلب العلا ... وحاملها في السافلين اجير

سلوني عن الامر الجليل فانني ... عليم باخلاق الرجال خبير

اذا افلت شمس المجد بمغرب ... تراءت له بعد الغروب بدور

وان فقد الانسان صيد مراده ... بفخ الاماني فالمصيد صغير

وان رضيت غر الرجال على فتى ... فان مريد الشر عنه نفور

وان بذلت في الخير عسجدها الورى ... يعز على الوغد الشحيح نقير

واني كفيل ان يحب منافق ... اذا سار عن ارض الحجاز ثبير

يعظم ميتا رب فضل وشاكر ... ويقبر حيا مجرم وكفور

فسمي الفتى صندوق برزخ مجده ... وكسب الثنا في ذا المقام نذور

اذا ماجد دارت رحاه بعزة ... فهمته قطب عليه تدور

اجل مزايا المرء فضل ومنطق ... وبعدهما كل الصفات غرور

فحافظ على ما ادرك العزم شاوه ... فكل صغير ضاع منك كبير

اذا المحل ساء المجرمين لحقدهم ... فروض سرور المحسنين نضير

على مهل يجري الزمان وانما ... يعاملنا باللطف فيه قدير

ركبنا الهوى حتى اسأنا بلادنا ... فدارت بنا الايام وهي تمور

تقلبنا الاخبار بين اكفها ... ولم ينهنا عما نود نذير

ولكن يرى لي ان قومي تنبهوا ... ففيهم رجال في العلوم بحور

ينبههم للسعي فيما يعزنا ... جواد لافكار الصلاح سمير

اذا استبقت اهل السياسة للعلا ... فتوفيقنا في ذا المقام امير

بدر هيا يابنات غنو على ذكر الامير

البنات | يوم الخديوي سعيد . والقطر كله نظام . توفيق مصر عزيز بلغه رب المرام .
يامصر زيدي جمالا . فالعدل صار له حواس . رياض مجد المعالي .
اضحى بديع الاساس . انظر لرفقي وفهمي . تلق المحاسن تمام .
والقدر سامي على . والفخر باب السلام . لا بد تلق صلاحا .
من نيل خير الكرام . فالناس اضحت تنادي . يارب حسن الختام .

بدر | هيا بنا ياعرب ننظر الى الامير ونقدم عليه

فريق التمثيل العربي

تمثيل الاحوال والوقائع المسمى بالتياترفن بديع يقوم في التهذيب وتوسيع افكار الامم واخبارهم عن الوقائع التاريخية والتخيلات الادبية مقام استاذ وقف امام تلامذته يلقنهم العلم بما تالفه نفوسهم وتميل اليه طباعهم وكان ذلك شائعاً دائماً بين العرب والمصريين من زمن بعيد فما كانت تحيا ليالي افراحهم الا بالممثلين ولكن لتوالي دواعي الجهالة على الامم الشرقية نظروا الى ارباب هذا الفن بعين الازدراء واتخذوهم مضحكين في افراحهم وعدوا تشخيصهم الاحوال اموراً مضحكة وانصرفوا عن العظة بها والاعتبار بما فيها فكان ابن رابية في مصر يمثل احوال الحكام واخذهم الناس للسخرة في الجبال والحديد وقتل الرجل على عشرين فضة وشنق آخر بغضب المدير اوالمأمور ونهب المزارع والماشية واصدار الاحكام بحسب مايتصور لحاكم الخط فضلاً عن المأمور وفضلاً عن المدير كما يمثل احوال من تغاضوا عن بيوتهم واهملوا المحافظة على اعراضهم وأتمنوا الخدم والمماليك فرأوا ماساءهم وغير ذلك ولكن كانت فائدته عندنا ان نضحك عليه وكذلك خلبوص العرب الى الآن يمثل وقائعهم وما جرى بين القبائل من ظفر وخذلان وحط وارتحال . فهو فن قديم أخذه الاوروبيون عن العرب عند مخالطتهم لهم في الاندلس والشام ولكنهم هذبوه وبنوه على تمثيل الوقائع الشهيرة التي لها وقع في التهذيب والتأديب وطهروه من كل ما يخل بالآداب العامة فلا تستحي الانثى من حضور مجلسه ولا يأنف الامير من تلك المواضيع وما زالوا به تنقيحاً وتحريراً حتى صيروه احسن فن

تميل النفوس اليه للتهذيب والترويح وكتبوا فيه الروايات الكثيرة بين حاصلة ومصورة واعتنى به علماؤهم ومهذبوهم وقام به شراذم من ادبائهم ونبهائهم وبنيت له المباني المظيمة وصارت مجامع الامراء والفضلاء والاعيان وقد اخذه الآن بصورته الاخيرة جماعة من الشرقيين منهم من احسنه ومنهم من بقي تحت التمرين فكان من المحسنين الفريق (الجوق) الشرقي المكوّن من المجيد الماهر الشيخ سلامه حجازي ومعه المحسن احمدافندى ابو العدل والمتقن حسين افندى الانبابي وجماعة من الشرقيين يصحبهم ثلاث مشخصات شرقيات لم يفتهن من الاحسان شيء يرأس هذا الفريق مديره المحسن المتقن اسكندر افندي فرح الشرقي وقد شهد كثير من الامراء وفي مقدمتهم عطوفتلو فضيلتلو علي باشا مبارك انهم اولى بالتشخيص في الاوبره من غيرهم لاحسانهم التمثيل وعدم وجود فرق بينهم وبين من اتقنه من الاوروبيين ولقد رأيت ممن يحضرونهم اريحية عصبية لوقائع الرواية فيفرحون عند الفرح ويحزنون عند الحزن ويتأثرون بالتمثيل تأثر من شاهد الاصل فحث ابناء مصر على الاقبال عليهم سعياً خلف ما فيه منفعة النفوس وتكثير الآداب

﴿ لَوْ كُنْتُمْ مِثْلَنَا لَفَعَلْتُمْ فِعْلَنَا ﴾

هي كلمة أوروبا التي ترددها على اسماع الشرقيين كلما فعلت فعلاً يحملها عليه الاستعمار الملكي أو الانتشار الديني وقد احكمت التأليف بين القوتين الدينية والملكية فجعلت الاولى سفير ووداد والثانية فارس جلاد وقد اضاف كل ملك اوروبي الى عنوان الملك حماية الدين فيقول في مخاطباته ملك أو امبراطور كذا وحامي الدين المسيحي أو عبارة أشد وقعاً في النفوس من هذه ليعلم الامم انه القابض على زمامي السياسة والدين فيؤيد رجال السياسة بتنفيذ ما يرونه من لوازم تأييد الملك واتباعه ويساعد رجال الدين بما يبعث فيهم الغيرة على بثه والدعوة اليه فترى رجال القوة ماشين على نسق واحد كل فيما فوض اليه لا تفتر لهم همة ولا ترقد لهم عين عن وظائفهم التي فيها حياة الدين والملك وزيادة شرف الامم . والامم لكونهم ادركوا ما قصده الملوك ورجال السياسة وخدمة الدين اندفعوا معهم اندفاع السيل في المنحدرات فعقدوا الجمعيات الدينية والعلمية والصناعية والتجارية

والزراعية والسياسية وأخذ كل فريق في احسان ما كلف به نفسه واوجبه عليه مجاراة جاره في الملك ومباراة نظيره في العلم أو العمل ومسابقة غيره ممن قصدوا قصده فاشتغلوا بما اشتغل به . وقد بلغوا القصد في بلادهم وخرجوا من بلادهم محمولين على قوتي الدين والملك سائرين على نور العلم والصناعة فدخلوا الاقطار الشرقية سائحين ومتجرين واستوطنوها مراقبين ومتغلبين وجرائدهم الكثيرة العدد برزت تتسابق في ميادين الانشاء بمواضيع مبتكرة ومقالات مطولة وعبارات مزينة فاصبحت ناقلة للاخبار ناشرة للآداب معلمة للعلوم مؤيدة للمبادئ حاثة على المقاصد منشطة للهمم مرشدة للامم منبهة على الاغاليط محذرة من التقاعد والتكاسل والغفلة عن وثبة الجار أو مماكسة المتاخم ناشرة للفضائل مؤرخة لرجال الفضل والعمل حافظة لسير الملوك داعية افراد الامم الى ما فيه خير البلاد وتأييد الدين خادعة للشرقيين لاعبة بافكار رجالهم خاتلة لعظمائهم مقبحة لما هم عليه من دين وسير ومعيشة وانتماء وصناعة وتجارة وزراعة منادية بينهم بان الغرب محل التشريع ومنبع العلم ومرجع الفضائل لا حياة للامم الا بما تأخذه عنه ولا مجد لمن لم ينتم اليه ولا فضل لمن يتعلم فيه ولا شرف لمن لم يتكلم بلسانه ويتعبد بعبادته ويتقيد بعادته . هذه كليات تحتاج لبيان جزئياتها التي لا تحتاج لبرهان بعد ظهورها للعيان

قالت اوروبا انكم متوحشون لكونكم لا تحسنون صنع الاثاث واللباس وانكم في حاجة الى مصنوعنا ولا تصلون اليه الا بعقد المعاهدات التجارية وبذا تمكنت من ادخال مصنوعها في الشرق لتحول الثروة اليها فاماتت ما كان يصنعه الشرقيون وحجرت على ما لا بد منه من صناعة الشرق الهندية وغيرها فما يصنع في الهند والصين والعجم والاناطول وغيره انما ينفق ويباع على يد الاوروبي كما يباع وينفق مصنوع بلاده فالشرقيون أجراء يزرعون ويحصدون ويصنعون ليروجوا تجارة اوروبا ويعظموا ثروتها ويؤيدوا قوتها الملكية بالايرادات المالية فلا حظ لهم في الوجود ولا رغبة لهم في الملك كأنهم امام اوروبا جنس خلق لخدمتها لتقاعدهم عن مجاراة اهلها ومما زادهم بعداً عن الصناعة وثمراتها وجود دخلاء أجراء يزعمون انهم نصحاء يثبطون الهمم ويرمونهم بالضعف ويوهمونهم عدم صلاح بلادهم للصناعة وينفرونهم بتعذر ذلك لتعذر المعدات والآلات وهم

يعلمون ان كثيراً من الممالك التي لا آلات فيها استعانت بآلات اشترتها من الغير واحيت
صناعتها الوطنية وحتمت على اهلها شراءها لرواج صانعيها ومنعت دخول مصنوع الغير
حفظاً لثروة اهلها فهم بصرفهم الهمم بهذه الترهات يريدون بقاء الشرقي في قبضة
الغربي احتياجاً اليه وترك الشرق ميداناً لمسابقة رجال اوروبا فلا يجدون مصنوعاً يعطل
عليهم ولا معرضاً عن صناعتهم فتبور • وضعفاء العقول يغترون بخداع هذا الدخيل
ويظنون انه من المخلصين فلا يتحركون لعمل من الاعمال لوقوعهم في اليأس والقنوط
بالمفتريات ورجال اوروبا تتعجب من تقاعدهم وتقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا
قالت اوروبا ان وقوفكم عند عاداتكم الشرقية وتخلقكم باخلاق آبائكم بقاء على الهمجية
والتوحش فلا بد من مجاراتنا في حركاتنا المدنية لتساوونا في الرتبة وفتحت لنا البيَر
والخمارات والمقامر وأباحت الزنا والربا ووسعت دائرة اللهو والخسران فغفل الشرقيون
عما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف وانكب الاغبياء والمغفلون على
الخمور فساءت اخلاقهم وضعفت عقولهم وفسدت عقائدهم وتحولوا الى المومسات
فارتكبوا الاثم بارتكاب المحرم والعار باتخاذهم الوطنية آلة للفحش وجعلها عرضة للاجنبي
بعدم غيرتهم عليها فهم في رتبة القواد بل هم هم ومال فريق الى القمار فباع الغيط والدار
واضطر لبيع حلي زوجته برضاها او بسرقته منها والكل عطف على المرابين يقترض
ويصرف في الملاهي ومتلفات العقل والجسم والملك حتى اسكن الاوروبي مكانه وصار
له خادماً بعد ان كان عظيماً محترماً وكلما تهالك الشرقيون على الخمور والملاهي واصلت
اوروبا رسائل الخمر وارتحل اليهم المومسات وارباب الملاهي تحويلاً للثروة وازهاقاً
لروح الدين حتى اصبح المتلبسون بهذه القبائح والفضائح لا شرقيين ولا غربيين
واتخذتهم اوروبا وسائل لتنفيذ آرائها ووصولها الى مقاصدها من الشرق وهي تحثهم على
المثابرة على عملهم باسم المدنية وما هي الا التوحش والرجوع الى الحيوانية المحضة اذ لو كان
الانغماس في الملاهي ومفسدات العقل والدين من المدنية لما تحاشته اوروبا وعدت
مرتكبه همجياً جاهلاً مجنوناً ولما وضعت القوانين الشديدة للمسكرات ومنع التلامذة
منها ولما كتبت الرسائل العديدة في ذم الخمر والفسوق وحرمان ضعفاء العقيدة والمتقاعدين

عن العبادة وحضور الكنائس وانما هذه اشراك وفخاخ تنصب في طريق الشرقي حتى لا يخطو خطوة الا وقد وقع في حبالة اوروبا . ولما رأت اوروبا ان الشرقيين لاينتبهون من غفلتهم ولا يعقلون مقاصد الدول ولا يدركون مكايد الملوك ولا يسعون في صالح بلادهم ولا يحافظون على دينهم ولا يعرفون شرف لغاتهم ولا يحفظون كراسي ملوكهم ولا يهمهم ضياع اوطانهم اتخذتهم كرة تلعب بهم كيف تشاء وهي تقول لهم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

قالت اوروبا ان الشرق في حاجة لتداخل اوروبا لاصلاح ادارته وماليته وتجارته وتهذيب أممه بالتعاليم الاوروبية واجمع رجال أوربا على جعله قسماً مقابلاً لها وربطوا عزمهم على ضمه اليهم الجزء بعد الجزء والقطعة بعد القطعة على اتفاق معقود بين الدول هذا لي وهذا لك ثم تلووا في الدخول فيه تلوي الافعى وملكوا بعضه بالتجارة والبذل وبعضه بدعوى مس حق دولة او اهانة بواب قنصل او حفظاً لطريق مملكة . والداهية الدهياء ان ملوك الشرق وعظماءه ملأوا قلوب أممهم بالاوهام وخوفوهم من الاوروبي وارهبوهم باسم اللورد والبارون والكونت والمركيز والجنرال والاميرال والسير والماجور حتى خيلوا لهم ان الاوروبي ملك يمكنه قلب المملكة او جني يقدر على حرقها فامتلأوا رعباً وخوفاً ولبسوا ثوب ذل وهوان وذلك بسبب المعاملة التي يعاملونهم بها في وقائعهم مع الاوروبيين وقد اضطروا كثيراً من الوجهاء والنبهاء الذين ينتفع بهم الوطن والملك الى الاحتماء بالغير تفادياً من تلك المعاملة فكانوا اقوى يد للاوروبي في تداخله واستيلائه على ممالكهم . فلو ربوا رجالهم على الحماسة ومرنوهم على الاعمال وبعثوا فيهم روح الحمية بالمحافظة على حقوقهم وترقيهم بحسب استعدادهم وساعدوهم على انتشار الصناعة والتجارة وهذبوهم بالادبيات وصانوهم من المفاسد العقلية وعلوهم العقائد الدينية وعودوهم على الشعائر الملية ونبهوهم بجرائد وطنية صادقة اللهجة صافية النية عارفة بما يقدمهم وينفعهم واوقفوهم على تواريخ آبائهم ومسابقات الدول في بلادهم ودسائس اوروبا وحذروهم من رجال الفتن والاجراء الذين يخدمون اوروبا باسم المصلحة الشرقية لوجدوا امامهم رجالاً واي رجال ولكنهم اهملوا ممالكهم واهدروا حقوق رعاياهم فاصبح ملوك

اوروبا يفخرون عليهم ويعيرونهم بما صاروا اليه من الضعف والاضمحلال ويقولون لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

ولا لوم على الاوروبيين في ذلك فانهم انما يسعون في مصالحهم واتساع ممالكهم وتجارتهم والشرقيون يرونهم يعملون الاعمال العظيمة في بلادهم وهم ينظرون اليهم نظر المغشي عليه من الموت ولا يتحركون لمجاراتهم او لايقاف تيار تداخلهم ويرونهم يسلبون اعمال امرائهم وولاتهم عملا فعملا وهم ناكسون الرؤس ومنكمشون في ثيابهم تسمع منهم اصوات عالية في خلواتهم يظنها السامع اصوات اناس حريصين على المجد والشرف فاذا خرجوا الى الطرقات ساقهم اضعف اوروبي بعصاه وهم بين يديه كأنهم قطعان الاغنام تساق الى الحظائر . بمن تقيس الجزائري اذا شاركه التونسي والهندي والمصري والقبرسي والعدني والمسقطي والزنجباري والبرنوي والبخاري والمروي والطاغستاني والتركاني والسرخسي وقابله المراكشي والافغاني برعدة الخائف الوجل ونظر اليه العجمي والعراقي واليمني والحجازي والنجدي والسوري والطرابلسي والاناطولي نظر المتوجس الحذر الذي تبعثه الهمة وتقعده القلة كلما شموا رائحة السلم من دولة جاءهم انذار الحرب من اخرى سعياً خلف الدين لا طلباً لسعة الملك فانه لوكانت الدولة العثمانية مسيحية الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة التي هي جزء منها في الحقيقة ولكن المغايرة الدينية وسعي اوروبا في تلاشي الدين الاسلامي اوجب هذا التحامل الذي اخرج كثيراً من ممالك الدولة بالاستقلال او الابتلاع . واننا نرى كثيراً من المغفلين الذين حنكتهم قوابلهم باسم اوروبا يذمون الدولة العلية ويرمونها بالعجز وعدم التبصر وسوء الادارة وقسوة الحكام ولو انصفوها لقالوا انها اعظم الدول ثباتاً واحسنها تبصراً واقواها عزيمة فانها في نقطة ينصب اليها تيار اوروبا العدواني لانها دولة واحدة اسلامية بين ثماني عشرة دولة مسيحية غير دول امريكا وتحت رعايتها جميع الطوائف والاجناس والاديان وكثير من اللغات والفتن متواصلة من رجال اوروبا الى من يماثلهم مذهباً او يقرب منهم جنساً وكل دولة طامعة في قطعة تحتلها باسم المحافظة على حدودها او وقاية دينها مع اتساع اراضيها وعدم وجود السكك الحديدية المسهلة للنقل والتحول

وعدم وجود انهر مستمرة الفيضان في غالب اراضيها ووجودها تحت رحمة الله تعالى ان شاء امطرها فاخصبت او منعها فاجدبت وهذه امور لو ابتليت بها اعظم دولة اوروبية ما قاومت هذه الصواعق اكثر من عام او عامين وتسقط او تتلاشى . ولكنها تلام على اعطاء السكك الحديدية التزاماً للاوروبيين بواسطة اناس يزعمون انهم من رعيتها ظاهراً وهم فرنساويون او انكليز باطناً فان السكك الحديدية بالنسبة الى المملكة كالشرايين بالنسبة الى الجسم فهي من اعظم العلل التي ستتخذها اوروبا وسيلة للتداخل باسم وقاية املاك اتباعها ومن لنا بكف يد الوزراء عن مثل هذا التهاون ويكفي ما جرى وما ذهب مناسدى فان اركنا على الشروط فقد اركنا على اوهن من العنكبوت فاننا لم نقدر على تنفيذ عهدة برلين فيما يختص بنا وقد وقع عليها الدول فكيف ننفذ شروطاً بيننا وبين رجال جعلتهم الدول ذرائع للتداخل ووسائل لاسوء المقاصد . ولقد اذهلتنا اعمال اوروبا التي لم تسمح لشرقي بامتلاك شبر في ارضها وهي تخرجنا من مساكننا وتقيم فيها بلا شروط معقودة ولا حجة مسجلة ولكنها معذورة فانها لم تجد من يعارضها او يجاريها فهي لا تعترف اننا معها في ثوب الانسانية بل تقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

ان دولة من دول اوروبا لم تدخل بلداً شرقياً باسم الاستيلاء وانما تدخل باسم الاصلاح وبث المدنية وتنادي اول دخولها انها لا تتعرض للدين ولا للعوائد ثم تأخذ في تغيير الاثنين شيئاً فشيئاً فلا تقدم على العمل بل تفعل الشيء على قبل التجربة فان نفذ فقد مضى وان عورضت فيه التزمت التأويل كما تفعل فرانسا في الجزائر وتونس حيث سنت لهم قانوناً فيه بعض مواد تخالف الشرع الاسلامي بل تنسخ مقابلها من احكامه ونشرته في البلاد واتخذت لتنفيذه قضاة ترضاهم ولما لم تجد معارضاً اخذت تحول كثيرا من مواده الى مواد ينكرها الاسلام توسيعاً لنطاق النسخ الديني ولم نلبث ان جاريناها واخذنا بقانون يشبهه ان لم يكن هو هو ولم يتطح في اصلاح مواده المخالفة عنزان ثم تداخلت في الاوقاف واستولت على غلها ومنعت المستحقين وطردت كثيراً من خدمة المساجد اقتصاداً مالياً وتخفيفاً دينياً ثم رفضت ضباط العساكر الوطنيين الكبار

واستبدلتهم برجالها خوفاً من ثورة يدفعونها بها عن بلادهم او يحمون بها دينهم ثم حجرت على المدارس تعليم بعض علوم شرعية والزمتهم بتعليم لغتها والاخذ بالطبيعيات والرياضيات حتى لا يشم الابناء رائحة الدين لئلا يعلموا انهم يغايرونهم ديناً فيثورون عليهم او يلتجئون الى دولة أخرى وهذه عواقب الالتجاء الى دول أوروبا والاغترار بوعودها الخلبية وشروطها المكتوبة بالماء على صفحة الهواء . وهذه دولة الروسيا دخلت مرو وهراة وبخارى باسم حمايتها من اعدائها وبعث اليها بتجارتها فنفذت ثم برجال يساكنون اهلها فمضوا ثم بعساكر في الحدود فاقاموا ثم بشروط تربطها بها فأمضيت ثم هي آخذة في تقدم لغتها هناك توصلاً لاعدام اللغات الوطنية التي يموت بموتها الدين وحمية الجنس والغيرة الوطنية وهذه انكلترة دخلت مصر باستدعاء اهلها واخذهم بناصرها بعلة تأييد المركز الخديوي الشريف ثم زيد على تلك العلة علة بث النظام ووضع حكومة ثابتة تشابه حكومات اوروبا وقد بذلت ما في وسعها في التحسين والتنظيم بمايترا آى لها ولم تجد غير آذان سامعة وايد عاملة ولكننا مع كثرة سماعنا وتعليمها لنا لم نقلدها في شيء مما دخلت لبثه فينا بل تركناها تفعل افعالها ونحن نتفرج عليها كأننا في ساحة سيماوي يرينا من اعماله العجائب ونحن في حيرة من العابه المدهشة . ومن جهل اعمال انكلترة في مصر بيناها له ليرى انه حقيق بما يوجهه اليها من النكير . اولاً اطلقت حرية المطبوعات والافكار فرأينا الجرائد الكثيرة تتكلم بما تريد وتتصرف في افكارها كيف تشاء . هذه تقول أنا وطنية أنادي بان خير البلاد وصلاحها موقوف على جعل الاعمال بيد المصريين تحوطهم عناية الحضرة الخديوية تحت مراقبة بريطانيا العظمى حتى اذا رأتهم قاموا بحكومة ثابتة مؤيدة بالقانون الحق النافذ وفت وعدها واجلت جندها وتركتهم يتمتعون بحريتهم في بلادهم كما تتمتع البلغار والجبل الاسود والسرب وغيره مما هو اقل من مصر بكثير والامة مرتاحة لها . وهذه تقول مصلحة البلاد موقوفة على زيادة نفوذ الانكليز ووضع الادارات تحت ايديهم بمساعدة النزلاء حتى يتهيأ المصريون لاستلام اعمالهم لا تبالي رضي عنها المصريون او غضبوا منها . وهذه تقول ان فرنسا هي الدولة الوحيدة في المحافظة على مصر وحقوق السلطان فيها وتأييد الخديوي ولا يضرها الا وجود الانكليز فيها .

وهذه مذبذبة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهذه علمية تهذب النفوس وهذه تورد لهم
من مصادرات الاديان ما يوقعهم في الشك والتردد وهذه دينية وهذه حقوقية وهذه
طبية . ثم تركت المصريين يغدون ويروحون بين هذه المتناقضات وهم يتناظرون
ويتجادلون لا رقيب عليهم ولا جاسوس ولما رأت ان كثرة المؤثرات الفكرية لم تنبههم على
طلب حقوقهم وظهورهم امامها بالتظاهرات الادبية استدلالا على استعدادهم للقيام
باعمال بلادهم تركت الجرائد تخوض في المواضيع المتضادة وتلعب بالافكار الجامدة
ونحن في بحار اللهو غارقون . ثانياً انها كفت يدها عن الاعمال عند دخولها مصر
وسلمتها الى المصريين ظاهراً لتقيم الادلة لاوروبا انها ما دخلت الا لتراقب المصريين
وتشير عليهم بما فيه التوفيق بين مصالحهم ومصالح الدول ولما لم تجد امامها من يجعل
هذا الظاهر باطناً بحصر السلطة في الذات الخديوية الفخيمة والادارات فى الوطنيين
اخذت تقول وهم يفعلون حتى اصبحت تفعل وهم لا ينطقون وكانت تتقي باسهم المطاعن
الاوروبية حتى خلا الجو وأمنت الاعتراض فاخذوا يذمونها ويرمونها بخلف الوعد
ونكث العهد وعدم الصدق وطول الباع في الخداع وهم غير محقين فانها ما دخلت الا
لتعمل عملا امام اوروبا فلما فوضوا اليها الاعمال استلمتها بهمة ونشاط . ومثلها ومثلهم
كمثل لص دخل دار قوم وقال لهم احملوا لي ما عندكم من اثاث وحلى وآنية فاخذوا
يحملونه ما يريد من غير معارضة فهل اذا دخل عليه البوليس واهل الدار يحملونه
بايديهم يقول هذا لص كلا بل يقول انه صاحب الدار وهؤلاء خدمه . أيرون ان
الانكليز هم الذين نشروا منشور الموسسات ورخصوا للنساء ان يخرجن للبغاء تحت
حماية القانون . ام هم الذين سنوا كشف الاطباء على البغايا واعطاءهن شهادات بانهن
صالحات للزنا فهتكوا حرمة القرآن والانجيل والتوراة بتحليل ما حرمه الله تعالى في كل
كتاب . ام هل قالوا للمصريين ستنفق ملايين في المقاولات والاعمال الهندسية من
غير ان نسأل عما نفعل فيها فاياكم والسؤال عن مبالغ ستكونون عبيداً مكلفين بسدادها
الى روتشلد وغيره . ام هم الذين اعطوا الالتزامات الوابورية والارضية ووسعوا نطاق
المعاهدات الى ان ضيقوا كل عمل مصري . ام هم الذين منعوا المصريين من زراعة

الدخان والحشيش لترويج مزارع اوروبا بخراب بيوت هؤلاء الضعفاء . ام هم الذين باعوا مهماتهم وآلاتهم بغير ثمن وربما اعطوا من اخذها شيئاً يستعين به على نقلها حتى تركوا البلاد محتاجة لمن يحرسها بالعصا او بالنبوت . ام هم الذين ابعدوا المصريين عن الخدمة وحشروا الغرباء في المصالح حتى اصبح الوف من المصريين لا يجدون القوت ولا يعرفون لاستخدامهم مرة ثانية سبيلا . ام هم الذين قللوا من تلامذة المصريين في مدارسهم واكثروا من استخدام الاجانب فيها وتدرجوا لاماتة لغتهم الوطنية بفرض المكافآت لمن ينبغ في الانكليزية لتنسى لغة القرآن فينسى بها الدين الواقف عقبة امام اوروبا كما يصرحون بذلك في مجالسهم واندية شوراهم . لا والله ما نالوا املا ولا قارفوا عملا ولا اذلوا رجلا ولا خربوا بيتاً ولا هتكوا حرمة الا بالمصريين . ماذا على الانكليز اذا سعوا في ربح تجارتهم واستخدام ابنائهم ولم يجدوا عائقاً أيرجعون وهم لهذا مرتحلون. ومن يلومهم اذا وجدوا طريقاً لتوسيع ممالكهم لا خوف فيه ولا عقبات أيتركونه وهم في جميع بلاد الدنيا طامعون. كانوا يرون ان المصريين اذا رأوا دولة حرة دخلت بلادهم لتأييد خديويهم واصلاح بلادهم وتعريفهم حقوقهم بين الامم تجمعوا حول اميرهم حاملين كرسي فخامته على رؤسهم منادين باسمه قائمين بتنفيذ اوامره محافظين على حقوقه مستميتين في اختصاصهم باعمالهم والقيام بشعائر دينهم مجتهدين في حفظ الامن وخدمة البلاد حافظين لحقوق الاجانب والغرباء النزلاء والمجتازين جاعلين محافلهم التي استخدمتها اوروبا في مصالحها محافل وطنية تستخدم اوروبا في مصلحتهم فكانت تساعدهم على هذه الامور التي تمهدت لاوروبا ان تعلمها للمصريين وتؤهلهم اليها ولكنها رأت غير ما ظننت فلا لوم عليها اذا وضعت قدمها على عمائمنا لتعلو جواد الفخر والخيلاء

لماذا نتألم من اعمالها وامراؤنا اقتصروا على القعود في القصور وركوب العربيات للتفسح في المنتزهات وعقلاؤنا صامتون لا ينطقون بكلمة رجاء او صوت استصراخ وضعفاؤنا حيارى ينتظرون هؤلاء وهم عنهم لاهون ونبهاؤها في المحافل يتحاورون ويتناظرون بما لا يفيد الوطن والملك شيئاً متعللين بان محافلهم لا تتعرض للسياسة ولا للدين فاذا انصرف النبهاء عن وجهتي السياسة والدين فبمن تقوم الاعمال ويتقوّم اود الحكومة

ويبقى عمود الدين قائماً كبقية الاديان . اما الاخاء الذي ربطناه بين الاجنبي تخلى له
عن مرجع المجد واصل الشرف . وهل تريد اوروبا ان تنتصر علينا في حرب عوان
باكثر من صرف نبهاء البلاد عن النظر في الملك والدين ليخلو لها الجو فتفعل ما تشاء
وتغير ما تشاء مع ان النبهاء يمكنهم ان يستخدموا محافلهم في مصالح بلادهم فيتمكنوا
بقواهم العقلية مما لا يمكنهم منه سيف ولا مدفع من غير اثارة فتنة او اراقة قطرة دم
ويصلحون ما افسده الاغترار والانخداع ويحدثون في البلاد عصبية وطنية لا تردها اعظم
امة عن مشربها المصري وسعيها المؤيد بربط القلوب على عزيمة واحدة صادقة . وما
الذي استفاده النبهاء المصريون من الاخلاط والامشاج غير تقدم الغير وتاخرهم واتخاذنا
بيت مال لفقرائهم وعجائزهم . دعونا من المجاملة في الكلام والتستر بما استهجنه العقلاء
ما ابتدعت المحافل الا لتصيير الممالك دستورية وقد نجحت في ذلك وقلبت كثيراً من
ممالك اوروبا وحيث انا بين يدي حكومة دستورية فلم لم نؤيدها بعصبية وطنية
ونظهر من اعمالنا ما تفتخر به انكلترة امام اوروبا والا فان بقي الامراء في البيوت والنبهاء
في المحافل على ما هم عليه والعقلاء صامتين والضعفاء طائرين حول اوهام الاجنبي
وارهابه والخديوي الاعظم ينظر الى هذه الجموع نظر الاب الرحيم الى الابناء العاقين
فلا نعترض على برابرة افريقية فضلاً عن الانكليز اذا جاءوا واخرجونا من مساكننا
وابعدونا عن عائلاتنا وتمتعوا بما نخلفه لهم من عرض ومال ومتاع وعقار . مضت والله
ايام التقاعد والاغترار بالترهات وصرنا بين يدي خديوي يريد ان نجاري الانكليز في
الاعمال الاصلاحية والمطالبة بحقوقنا الوطنية ونحن عن ارادته السنية ساهون . ويحب
ان نتقدم في التجارة والصناعة والزراعة والمعارف ونقبض على ازمة امورنا ونحفظ
عرشه المصري بالمصريين ولكننا عن نظره العالي عمون . يتألم من ضياع المصري
والاستخفاف به وتركه في زوايا الاهمال اكثر من تألم المبعدين ولو احسنا بما عنده من
الآلام لبتنا لمضاجعنا جافين . ان اوروبا تنظرنا من بعيد لترى اعمالنا وما نتقلب فيه من
الاحوال وما تهدينا اليه انكلترة مما تؤيد به الخديوي الافخم كمنشورها التداخلي ونحن
عن هذا كله لاهون . كفوا ايها المصريون عن القيل والقال فقد عيرتنا الامم باننا نقول

ولا نفعل واظهروا بين يدي انكلترة برجال يسرها تجمعهم حول اميرهم الذي جاءت تؤيده واطلبوا منه حقوقكم المقدسة واشكروا انكلترة على ما اوصلتكم اليه من الحرية التي تركتكم تتظاهرون تظاهراً ادبياً طلباً للحقوق وسعياً خلف الحقائق والامتيازات الوطنية فان كل انكليزي يراكم في هذا التقاعد وهو يدأب في عمله الليل والنهار يقول لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

كلكم قائل « بيدي لا بيد عمرو » مضت السنين العشر التي قابلتم غرتها بالافراح والزين وطرتم فيها حول الاوهام طرباً وسروراً وعميتم عن سوء العاقبة فانشد شعراؤكم القصائد الطنانة الرنانة مدحاً وثناء وشربتم الخمور جهاراً باسم من استمديتموه على بلادكم ونصرتموه بتثبيط اخوانكم وبذلتم اموالكم وارواحكم في دخولهم البلاد والتخلي لهم عما بايديكم من الاعمال . ولطالما طأطأتم الرؤس وحنيتم الظهور وركعتم امامهم تعظيماً وتسليما وبصقتم على وجوه اخوانكم ولبستم اجمل ثيابكم تنتظرون يوماً يقتل فيه مائة الف مصري . فهذه الايام تريكم كيف تدور الدوائر وكيف تنقلب الاحوال بالاهوال على من لم يقرأ العواقب ومن يلقي نفسه بين نيوب الصل خائفاً من العظاية (السحلية) فقد ابدلت المصائب الولائم الاجنبية بالمآتم الفقرية ودعتكم لتكسير اعواد الطرب والسرور وضرب دف الندب والرثاء . وهل تجزون الا ما كنتم تعملون . مضى امس بخيره وشره وجاء اليوم بتحذيره وانذاره وقد سار المرحوم افندينا توفيق باشا الى جنة ربه . وزين عرش الحكومة المصرية المحفوظ بعناية الله تعالى افندينا عباس باشا الثاني ولا عسكرية تطلب منه حقوقا وطنية فيقال انها تريد ان تستبد عليه او تضعف سلطته فأولى ان يستعين بدولة كذا . ولا خوف عنده من اجنبي يهدده بمنشور ينشره ليجعله وسيلة للتداخل العدواني . ولا احزاب بين يديه فرقتهم الضغائن الباطلة فشقوا عصا الجامعة الوطنية والوحدة الدينية بوسوسة جاهل ونزغ محتال . بل هو الهمام الحازم الصادق الوطنية المحب لجميع اجناس رعيته على اختلاف اديانهم الساعي في منح الوطنيين حقوقهم وتمتعهم بخصائصهم الادارية وما يحتاج في تنفيذ ارادته الا الى رجال نبهتهم صدمة اوروبا الى الرجوع عماهم فيه من الاغترار والاستغفال فخاطوا اميرهم مخلصين في انقيادهم اليه لينادي

بهم رجال انكلترة قائلا هؤلاء رجالي الذين تريدون ان تؤيدوا بهم حكومتي النظامية فضموا الاعمال في ايديهم واختبروهم فيما يقومون به من الاعمال . هؤلاء الذين ربتهم مصر وشهدت لهم اوروبا ووقفوا مع سابقيهم تسعين سنة يديرون الاعمال بانفسهم ويصلحون البلاد حتى حاكوا بها مدن اوروبا الشهيرة بل ربما وجد الاجنبي فيها من الراحة ما لا يجده في اعظم مدن اوروبا هؤلاء الذين قلتم لاوروبا اذا وجدنا قوماً لهم قدرة على الاعمال وفيهم استعداد لحفظ الامن ونشر المدنية سلمناهم بلادهم وودعناهم بسلام فهلا جربتموهم في عمل . هؤلاء الذين لا يحتاجون لمجاراة غلادستون في سياسته ولا بسمارك في خداعه ولا القيصر في شدته فانهم يديرون اعمالا بسيطة مكفولة بالقوانين والنظامات ليس فيها سعي خلف استعمار ولا اجتهاد في نشر دين ولا تحايل على توسيع حدود فاية صعوبة في مثل هذه الاعمال . هؤلاء الذين جئتم لتأييدهم في مراكزهم ودفع يد العدوان الوهمي عنهم وقلتم في مصر من الرجال فلان وفلان فلا يحتاجون الا الى مراقبتهم مدة قصيرة في ادارتهم الجديدة . هؤلاء الذين درسوا اعمالكم وحفظوا نظامكم ووقفوا منتظرين تحقيق الآمال وصدق الوعود فعلام تتعبون في تهذيبهم ان كانوا لا يصلحون . وماذا ترجون منهم بعد تعليمهم اصولكم العسكرية والادارية والمالية والقضائية ان كانوا لا يفلحون . هؤلاء الذين هم احق واولى من غريب تستخدمونه باموالهم المتحصلة منهم وتنفقون عليه من ذهب ما دفعه اوروبي ولا حصله غير مصري فاي مانع يمنع المصريين من المطالبة بحقوقهم بالتظاهرات الادبية أصرنا اقل درجة من فعلة الانكليز والغزالين الذين تعصبوا لحقوقهم وتجمعوا لراحتهم واذهلوا العالم بافعالهم التي ما دخلها شغب ولا تخللها خلل . وكأني بدخيل يوسوس للاجانب قائلاً ان الاستاذ يدعو الى ثورة مصرية بهذه العبارة فقد تعودنا سماع الاراجيف من الدخلاء وتسليط الاوروبيين على كل بلد نودي فيه بالمحافظة على وطنيته ونحن نضع حجراً في فم هذا الدخيل قبل ان يحرك شفتيه بكلمة اغراء . ان المصريين قد جربوا انفسهم في التظاهر بالقوة فوقف شقاقهم بينهم وبين الظفر بالمقصود وهم شاكو السلاح كثيرو العدد والعُدد والآن لا قوة بايديهم ولا سلاح وقادة الجند من الاجانب ولا يحمل العسكري

الا بندقية فارغة حكمها حكم عصا الراعي ولا موجب لحركة الاهالي حركة عدوانيـة بعد خضوعهم لاميرهم وانقيادهم اليه في السر والعلن وقد تأدبوا وعلموا دسائس اوروبا وتنبهوا لمقاصد الدول وسعيهم في اتخاذهم آلة لبلوغ مآربهم لا لمصلحة المصريين معاذ الله ولا لمنفعة المسلمين استغفر الله فما من مصري الا وهو يعلم الآن ان اوروبا لا تصدق في قول ولا تفي بوعد ولا تحب شرقياً ولا تسعى في خير مصري وانما هي ملاعب سياسية يقدمونها بين اعين الجهلاء الذين لا خبرة لهم بدهاء الدول ومطامعها يستميلونهم بها استمالة الطفل بقطعة حلوى او ثوب منقوش . ومن انتهى بهم الامر الى الوقوف على الغايات والمقاصد السيئة مع فراغهم من المعدات الآلية وعدم حاجتهم اليها يستحيل عليهم ان يكدروا صفو الراحـة بشغب اصوات فضلا عن قعقعة سلاح . وما يدعوهم الاستاذ الا الى مجاراة الاوروباويين فيما هم فيه من معرفة قدر نفوسهم والمحافظـة على حقوقهم ولغاتهم واديانهم وعوائدهم والدأب خلف الاستقلال باعمال بلادهم فانهم لا يجهلون ان كلاً من السرب والبلغار والجبل الاسود ورومانيا اقام تحت تصرف الدولة العلية اكثر من خمسمائة سنة وفي هذه المدة ما استطاعت الدولة ان تغير دينهم او لغتهم او عادتهم بل حافظوا على الاصلين العظيمين اللغة والدين وزاحموا ولاة الترك في الاعمال والادارات واكثروا من الصياح والاستنجاد حتى وقت الحرب الاخيرة واستقلوا فلم يحتاجوا لتجديد لغة او عهد دين او اعادة معبد ووجدوا انفسهم هم الذين كانوا قبـل ذلك بخمسمائة عام وقد قوبلوا على ذلك بمدح جميـع اوروبا وثنائها عليهم وكان من اعظم المساعدين لهم بل المحركين لهم نفس انكلترة التي تريد ان نجاريها في اعمالها او نجاري من انجدتهم من بعيد ونحن اقرب اليها من حبل الوريد . والاستاذ يعرض مقالته على كل عاقل منصف مصرياً كان او غير مصري واظنه لا يسمع الا قول المخلصين انها اخبار بحقائق وطلب بحقوق لا تمس شرف رجل ولا تتعرض لامة ولا تطعن في سياسة وانما هي محض درس تهذيبي لمن يسوءهم قول الاوروبيين لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

قضى المسلمون مع الاقباط ثلاثة عشر قرناً وهم في اختلاط اهل بيت ومعاملة عشـيرة

واتحاد عائلة ما جرى بينهم يوما واقعة عدوانيـة مسببة عن اختلاف الدين كما نشاهدا ونسمع من طرد اليهود من بلادهم وسلب املاكهم وحليهم واستحلال تعذيبهم وسوقهم الى سيبريا حفاة فيهم القيود والاغلال وتخييرهم بين الانتقال من دينهم او الرضا بالاشغال الشاقة في سيبريا التي هي جهنم العـذاب اوجهنم شبيهة بها . ولا فعل معهم المسلمون مثل ما فعلته فرنسا مع الجزويت وهم اخوانها في الدين وان اختلفوا في المذهب ولا مثل ما فعله البلغار مع المسلمين من هدم مساجدهم وقتلهم وهم في الجمعة يصـلون ولا مثل ما فعله الروس في الشركس الذين اضطروا لترك اوطانهم واثاثهم وماشيتهـم وهاجروا الى بلاد الدولة مشاة لا يحملون الا اجسادهم . بل بقينا معهم كل هذه المدة نتبادل الوظائف والزيارات وامتلاك الطين والعقار فلم نسع في شق عصا اجتماعهم وتفريق كلمتهم لتتخذ ذلك ذريعـة الى امر مطوي في باطن المستقبل ولهذا لم تجد دولة من الدول العـدوانية علة دينية تتداخل بها في شان مصر باسم راحة المسيحي والمحافظة على المعابد المقدسة واعطاء الاقباط حريتهم في عوائدهم الدينية بل كان ائتلاف المسلمين بهم حجاباً بـين مصر وبين تلك الدعوة التي تعودتها اوروبا تغريراً وتضليلاً وفتحاً لباب الحروب بعلل وهمية لا وجود لها في الخارج . ولهذا نرى المسلمين متألمين من انشقاق اخوان الوطنية وحل رابطتهم التي مضت عليها القرون الكثيرة وهي اوثق رابطة عقدت عليها القلوب لا الخناصر والـكل يهجس ويخمن في الباعث والعاقبـة فقد ادبتهم مساعي اوروبا الخيرية ووجدوا تحت كل نصيحة من نصائحها اساليب شتى للاذلال والاستعباد على ان الامر لو كان متمحض القبطية لساء المسلمين تنافرهم وهجرهم كنائسهم ومقابلة بعضهم بعضاً بصـدور ممتلئة بغضاً وحقداً بعد ان كانت وعاء الثقة ومحبة وهذه ثمرة المخالطة الاجنبية وحسنة من حسـنات اوروبا التي تتصدق بها علينا . ولسنا نتكلم في الشقاق من حيث داعيه وانما نتألم منه من حيث هو شقاق بين طائفة صغيرة يكفي في فصل القضاء بينها احد العقلاء حرصاً على الجنسية والجامعة الوطنية وجبراً لصدع قلوب كلها فروع اصل واحد ولا نتكلم على الباعث الديني باكثر من أملنا في التوفيق بين الفريقين وسد الاذن عن سماع الاصوات الاجنبيـة التي تحرك النفوس وتظلم القلوب

وتدخل المجموع تحت كلية اتفقنا واختلفتم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

فيابني مصر لم تبق قطعة في الارض الا والجرائد تنقل لكم اخبارها وتريكم اعمالها فاذا لم تكونوا أهلاً للاختراع كما قال لكم احد الانكليز فقلدوا عقلاء اوربا في افعالهم وكفاكم الاغترار بترهات المضلين والملياذ بالاجنبي الذي سلبكم ثوب المجد ولم يبق الا ان يأكل لحمكم ويشرب دمكم غيظاً على امة تدفعها الطوارئ الى وهدة المصائب وهي قادرة على دفعها ولا تتحرك ولا حركة مذبوح . ليعد المسلم منكم الى اخيه المسلم تأليفاً للعصبية الدينية وليرجع الاثنان الى القبطي والاسرائيلي تأييداً للجامعة الوطنية وليكن المجموع رجلاً واحداً يسعى خلف شيء واحد هو حفظ مصر للمصريين . ايكفينا من الثروة ان نرى اكبر تاجر منا لا تزيد ماليته عن عشرين الف جنيه واذا عددنا هذا القسم قلنا واحد اثنان فاذا انتهينا الى التاسع وقفت بنا الاعداد اما تتحرك الهمم الخامدة لفتح محال التجارة شركات وطنية تجمع من سهام قليلة فتربح كثيراً وتفتح بيوتاً اغلقت ابوابها او كادت اعجزنا عن مجاراة الامم حتى في هذا العمل الذي يقوم به الاميون والجهلاء الذين تبعثهم ضرورة المعاش الى اتخاذ طرق الاتجار بالاتحاد . ألا تقدرون على عقد شركات تشتري اجزاء من اطيان الدومين او الدائرة لتربحوا منها وتستخدموا فيها اخاكم الفلاح وتعوضوا بعض ما اضاعه الاسراف في الملاهي والخروج عن الحد وصيره في يد الاجنبي . افلا يحسن في اعينكم ان تفتحوا مدارس لابنائكم تهذبونهم فيها وتعلمونهم وتحولون بينهم وبين الوجهة الاوروبية التي تغرسها بلادنا مدارس اوروبا في اذهانهم تداركوهم قبل ان تفقدوهم . عرفوهم انكم آباؤهم قبل ان ينكروكم . لقنوهم ما انتم عليه من الدين قبل ان يخالفوكم . حفظوهم تاريخ بلادكم واجدادكم قبل ان يجهلوكم . ردوهم الى الوطنية قبل ان يحملوا سلاح المداوة ليتقربوا بدمائكم الى من ربوهم وتبنوهم « جاوزَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْن » ومرق السهم من الرمية واصبح لفيفهم ينادي غافلكم

فان كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلي والا فأدركني ولمَّا أُمزَّقِ

وارحمتاه لصبية وضعهم الله تعالى امانة في ايدينا نخناه فيهم واسلمناهم الى اجنبي يستهيم

شراباً ما شربه الآباء ويسوقهم في طريق ما سلكه الاجداد وكلنا يعلم ذلك علم اليقين وفيه القدرة على حفظ ابنه من هذه النزغات السيئة ولا ندري ما يمنعنا من ذلك أأخذت أبناؤنا في الحديد وسيقت الى هذه الساحات الاجنبية لا والله . ام أكرم هنا الحاكم على ارسال ابنائنا الى الفرير والامريكان وغيرهم لا والله . ام جهلنا ما يتعلمونه من مغاير الدين واللغة والعادات لا والله . نحن سلمناهم بايدينا وصرفنا على اخراجهم عنا من ما لنا ورضينا بما هم فيه من النقل وسوء التعليم فنحن عنهم بين يدي الله مسؤلون .
نعلم ان اوروبا لا تعطي شهادة لتلميذ الا اذا احسن لغته كل الاحسان ولا تدخل تلميذاً يغاير التلامذة مذهباً الا اذا صلى على مذهبهم او يبعدونه عنهم وتنقل لنا الجرائد اخبارهم وسعيهم خلف تعليمهم الوطنية وحقوق الجنسية فهذه انكلترة الحريصة على جنسيتها المتعصبة لدينها اشد التعصب تطالب الامة بتعليم ابنائها حقوق الوطن والجنس مع انه ليس وراء ماهي فيه من ذلك مطلب لطالب . وهذه فرانسا تصدر المناشير الى الكنائس تلزم الامة جميعها بالصلوات لله تعالى رجاء ان يخلصها من العراقيل التي هي فيها وهاتان هما الدولتان اللتان تدعيان انحصار المدنية فيهما فلم لا نقلدهما في المحافظة على الوطنية والجنسية والدين وننادي بذلك في القرى والمدن وحجتنا حجتهم وحاجتنا حاجتهم . نرى كثيراً من الشرقيين بل المصريين يحومون حول حمى الاجنبي لياذاً به وطلباً لمعروفه فهل تناول منه الا لقمة لو لم يجده لطرحها للكلب لكونها فضلة طعامه وفتات خوانه وهل جلس في حضرته الا مهينا مزدرى منظوراً اليه بعين الاحتقار بل الاستعباد وهل مكنه من اضعف الاعمال الا ليستعمله آلة في تنفيذ آماله وتحقيق امانيه وهل بش في وجهه مرة الا ليدخل عليه غفلة الرحمة والحنان ليصرف انظاره عما يراه من سلب الحقوق . آن والله ان يتبصر المصري ويشابه رجال اوروبا في الاخذ بالحزم والاعتماد على صدق العزم حرصاً على مابقي وطمعاً في فرص المستقبل وتحقيقاً لآمال الانكليز في صلاحنا على ايديهم حتى لا يبكتونا بقولهم لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا « طول العمر يبلغ الامل ، وبالرفق يستخرج الانسان الحية من وكرها فلا يحملن الطيش الاحمق منا على التهور والتخلق باخلاق البهيم فاننا نعلم ان صيانة بلادنا موقوفة على حفظ

الراحة ومعاشرة الاجانب والنزلاء بالمعروف وبقائنا على الهدو والسكون وبعدنا عن الفتن التي يحركها الدخيل والاجنبي لمصلحة دولته فيجني ثمارها و يلحقنا عارها وناهيكم مذبحة الاسكندرية التي تعيرنا بها اوروبا الى الآن وهي تعلم من احدثها من رجالها بحيث تسميهم رجلاً رجلا وتقدر ماصرف للاجراء جنيهاً جنيهاً وقد نجحت من نسبتها اليها وجعلتها قوباء في غرة مصر ومصر بريئة منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ولا ننسى العار الذي الحقه بنا بعض المأمورين في فتنة طنطا التي دفعته اليها اليد الاجنبية ايضاً فباء بخزي الدنيا وعذاب الآخرة ولحق ببيته غير ماجور على سعيه ولا مشكور على فعله وهذا جزاء ضعفاء العقول الذين يتجرأون على ضرر عباد الله واهلاكهم فى مصلحة من يرضيهم بما لايساوي قلامة ظفر انسان تالله انه لوجاز لمصري ان يصرح بكل مايعلم لذكرنا من الحقائق العدوانية مايكون عبرة وذكرى لقوم يعقلون . وفي الاشارة مايغني عن الخبر . فاعتبروا يااولى الالباب . ومن لم يقرأ العواقب وقع في المعاطب . والعاقل من اعتبر بغيره . فالله الله ايها المصريون في انفسكم واميركم واعراضكم واموالكم وبلادكم . جاهدوا انفسكم في توحيد كلمتكم وارجعوا بمحافلكم عن ابواب اوروبا وفتنها واخدموا بلادكم بظهوركم امة واحدة واقفة على قدم الخدمة لاميرها والمحافظة على حقوقها والمطالبة بخصائصها ولاتشغلكم المظاهر الاجنبية عن تصحيح اغاليطكم وتطهير بواطنكم ولا تظنوا انكم عاجزون عن استرجاع مجدكم والقيام باعمالكم فانما انتم بشر مثل رجال اوروبا ولكنهم تجمعوا وافترقنا وعرفوا حقوقهم وجهلناها ورفضوا نصائح الغير وقبلناها وحفظوا دينهم ولغتهم وجنسيتهم وتهاونا في البعض وتركنا البعض فاذا جاريناهم في طرقهم الوطنية ساويناهم في الخصائص والمزايا ودوّنا لنا تاريخاً جليلا يفتخر به الابناء وترحم بسببه الآباء . عما قريب تنبش قبور آبائكم واضرحة عبادكم وسادتكم لتؤخذ تلك العظام النخرة الى معامل سكر اوروبا حتى لايبقى هناك أثر لذي مجد من الشرقيين فان خفتم من ذلك فاتخذوا اعظم الوسائل لبقاء موتاكم متوسدي تراب قبورهم فانا نرى الاوروبيين ينقلون عظام موتاهم من بلاد حاربوا فيها ليحفظوها في اوطانهم حتى يزورها الآتي ويقرأ تاريخها العجيب .

لا تظنوا ان هذا لسان التخريف أو التزييف فانكم ان استبعدتم الامر واتم على ما اتم فيه من التهاون والاهمال فكل ما هو آت آت وان تنبهتم لذلك وحافظتم على اوطانكم بالمحافظة على امتيازاتكم المكفولة ببقاء الخديوي الاعظم في منصة حكمه مؤيداً بخضوعكم اليه وتأييدكم مبادئه الوطنية وأعماله الاصلاحية رضي الله عنكم وارضاكم وحفظت اضرحة ساداتكم وقبور موتاكم . وما ذلك بعزيز على امة خالطت كل الامم وقرأت تواريخ الممالك وتعلمت كل ما يلزم للوطن وحكومته وساح منها فريق بلاد اوربا وعرفوا طرق التقدم والاصلاح . افيليق بمن هذه صفتهم ان يكون غاية تهذيبهم قعودهم على القهاوي وفي الخمارات واجتماعهم للتشاتم والتقاذف بالمذام والسعي في المضار . لا والله ان هذا لمن اكبر العيوب وأعظم المصائب ومن لم تنبهه الحوادث فهو الغافل ومن لم يؤدبه الماضي اضربه الآتي افلا يحركنا قول اوربا لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

« انا اخوك فلم انكرتني » ما الشام ومصر الا توأمان ابوهما واحد يسوء الاثنين ما ساء أحدهما فلم تنافر ابناؤهما وانحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين وان ساكنوهم في مصر الم يكن الاجدر بنا ان نصرف علومنا ومعارفنا وقوانا العقلية في صلاح بلادنا وبث روح العلم والحياة الوطنية فيها . اىراتب قدره عشرون جنيهاً يبيع المرء منا اخاه ووطنه بل وجنسه ودينه ام بكلمة تحرير نصرف حياتنا في خدمة الاجنبي لنعينه على اخواننا لينتقم منهم بغير ذنب ويجني على غير جان . بئس والله ما وصلتنا اليه هذه الخزعبلات التي نسميها معارف وآداباً . زرعنا الاحقاد في قلوبنا بغيا وعدواناً . اهلكنا انفسنا بالمداوة في غير مصلحة جهلاً وحماقة . فضحنا انفسنا بنقل عوراتنا للغير سفاهة وجنوناً . بعنا هيئتنا للاجنبي بلا ثمن خبلا وبلاهة . ولو اجتمعت كلمتنا وائتلفت نفوسنا وصفت بواطننا وصرفنا هذه الهمم في حفظ الوطنيين واعلاء كلمة الجنسين لحسدتنا المعالي ووقفت اوربا تنظرنا بعين الاعظام والاجلال ولكن قضت شقوة الشرقيين ان يكونوا كحطب النار يأكل بعضه بعضاً لينتفع الغير بنارهم اصطلاء وطبخاً واستعمالاً فيما يشاء والعهد قريب والعود غير عسير فما تكلف في جمع

الكلمتين وتوحيدهما اكثر من الانصراف عن شياطيننا الذين قاموا فينا خطباء ووعاظاً بدروس يتلقونها اليوم بعد الآخر عن الاجنبي وتبادل الزيارات والمسامرة في المجامع واخلاص السير وما ذلك على الله بعزيز . والا اذا بقينا على هذا التنافر والتضاد اتخذنا الاجنبي آلات لتنفيذ اوامره فيوقع بيننا العداوة والبغضاء وربما انتهى الامر الى ما لا تحمد عقباه بجهالتنا واعتمادنا على العضد الاجنبي وفي ذلك من الخزي والعار ما لا تمحوه اكبر الحسنات . وا أسفاه على رجال قضى اباؤهم الدهور الطويلة يتبادلون العمران والاستيطان لا يفرق بينهم دخيل ولا يقطعهم عن بعضهم اجنبي فجاؤا من بعدهم وخالفوا سيرهم وحالفوا غيرهم وخدموا الاجنبي بمساعدته على التداخل في بلادهم بل على الاستيلاء عليها لا لعداوة بين الامتين ولا لحرب جرت في الوطنين بل برغيف يحصله الزبال وخرقة يملكها الشحاذ . وان قيل ان جامعة الدين اضطرتهم قلنا ان عز الاستقلال بالوطنية خير من الازلال بجامعة الدين فان الاجنبي يغر الرجل منا حتى يوصله الى غرضه ثم يلحقه بغيره عند تمام الاستيلاء ولا يعرف له حقاً غير خدمته ولا يفرق بينه وبين من غايره ديناً في الاستخدام والاستعباد . انقول هذا وقتنا فنحصل فيه لذاتنا البدنية البهيمية ولا نبالي جاء المستقبل على أهلنا واخواننا بالعز أو بالهوان . بئس ما يختاره الرجل لنفسه من ان يطعم لقمته مغموسة في دماء جنسه واخوانه . ان البهيم ليدافع عن جاره فضلاً عن نوعه فكيف يرضى العاقل ان يكون اقل فضيلة من البهيم * ان كان هناك اعتقاد بجنة ونار فتقربوا الى الله بما يدخلكم به جنته وليس ذلك الا البعد عن مساعدة الاجنبي على اخوانكم وان كان الاعتقاد وجود الله وخلود النفس فقط او لا رب ولا إله كما يقول الفريق المدني الاحمق فبيضوا صحائف التاريخ بمجد خالد وذكر جميل وان كان لا اعتقاد رأساً ولا مجد ولا شرف وانما هي بهيمية محضة تبعثنا الطبيعيات فيها الى مالا تعلق للعقل فيه فياسوء ماوصلنا اليه . وبالجملة فان آخر الدواء الكي وقد بلغ السيل الربي فان رفاءنا هذا الخرق وشددنا ازر بعضنا وجمعنا الكلمة الشرقية مصرية وشامية وعربيـة وتركية امكننا ان نقول لاوروبا نحن نحن وانتم انتم وان بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالاجانب فريقاً بعد فريق حق لاوروبا

ان تطردنا من بلادنا الى رؤس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشي وتصدق في قولها لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا

من خطبه يوم الجمعه وهو مختفيا في الريف

الحمد لله الذي احل البيع وحرم الربا وهو اعلم بمصالح العباد * واجاز القرض والرهن والسلم بلا ازدياد * فمن اطاعه تطهر ومن عصاه تضمخ بالاوساخ * احمده حمد من اتبع الاوامر * واشكره شكر من انزجر بالزواجر * واعبده عبادة من وحده حتى كبر وشاخ * واصلي واسلم على المخصوص بالوسيلة الفيحاء * سيدنا ومولانا محمد صاحب الشريعة السمحاء * وعلى آله وصحبه الاساتذة الاشياخ * عباد الله ما شدد الله تعالى في محرم تشديده في الربا * فعد مرتكبه بعد النهي محاربا * وامره تعالى لايقبل الانتساخ * فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله * ان شاء عفا عنه وان شاء آخذه بما جناه * ومن عاد فأولئك اصحاب النار يوم لاينفع الصراخ * فتأملوا تهويله تعالى في خطابه اهل الدين * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا ان كنتم مؤمنين * فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فياله من وعيد يصم الصماخ * الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس * يوم يخرجون من الاجداث ويذكرون مافعلوا بالامس * ويأكلون النار كما اكلوا الربا في البيوت والاكواخ * الربا وان كثر فهو الى قل كما قال صاحب المعراج * فلا تغرنكم ثروة المرابي فانها ابتلاء واستدراج * واثمه يشترك فيه الآخذ والمعطي والشاهد والواسطة والنساخ * غركم المرابون بالنقود فتوسعتم توسع المفاخره * ثم استولوا على العقار والمزارع فجمعتم بين خزي الدنيا وعذاب الآخره * واستخدموكم اجراء لما وقعتم في الفخاخ * وقد عمت به البلوى حتى عرفه النساء في الربوع * فتقول المرأة لجارتها اسلفيني قرشا بستين فضة الى اسبوع * وآتيك به عند بيع الغزل او الفراخ * بل استعمله الناس استعمال الامر المشروع * وعدوه نوعا من انواع البيوع * ولفقوا له صورا لتثبت صكوكه عند القضاة بلا انفساخ * وكم من حيلة يضعونها وما ربك بغافل عما يعملون

توالت علينا المصائب فانا لله وانا اليه راجعون * وقد صارت المواعظ كالزرع في السباخ *
فاتقوا الله وذروا مابقي من الربا واطلبوا منه المغفره * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل
مثقال ذرة شراً يره * لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين يوم ينقض عليكم الزبانية كالرخاخ

الحديث

قال صلى الله تعالى عليه وسلم من اجبى فقد اربى اي من باع الزرع او الثمر قبل بدو
صلاحه * وقال صلى الله تعالى عليه وسلم الربا وان كثر فهو الى قل

﴿ خطبة ثانية ﴾

الحمد لله ذي السطوة العظيمة العامه * والوطأة الشديدة التامه * والحكم النافذ في جميع
العباد * احمده حمد من عرف بطشه نخافه ورجاه * واشكره شكر من علم عفوه فلجاء
اليه ودعاه * واعبده عبادة من ائتمر باوامره وانتهى بنواهيه ليبلغ المراد * واصلي واسلم
على من جرت من بين اصابعه المياه * سيدنا ومولانا محمد واسطة كل مخلوق الى مولاه *
وعلى آله وصحبه الموالي والاسياد * عباد الله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس
من عمل الشيطان * هذا نص آله العالمين فكيف يخالفه الانسان * لايخالف مولاه
الا من اضله عن سبيل الرشاد * اجتمع في الخمر من المفاسد مالا يجتمع في غيرها من
البواعث * وحسبك قول الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم الخمر ام الخبائث * فانطوى
تحت هذه الجملة انواع الفساد * كل مسكر خمر وكل خمر حرام * فالعصير والنبيذ شريكان
في الآثام * وبه الفتوى في مذهب ابي حنيفة كما اعتمده ابن العماد * شارب الخمر يغيب
عقله فيتكلم بما به يكفر * وربما طلق زوجته وهو لايشعر * والحكم عليه كالحكم
على العاقل لتعديه بالسكر بعد الاعتقاد * شارب الخمر لايبالي بالزنا والقتل والسب
والفحش * ويعامل الشريف والوضيع معاملة الوحش * فان الفارق بينه وبين البهيم غاب
عنه وحاد * قد صرنا الى زمان فتحت فيه المواخير في الشوارع بلا نكران * وصارت
مجامع الامراء والوجهاء والاعيان * وعم الامر حتى شربها النساء والاولاد * وقد
تنقلت من المدن الى الارياف * واجتمع عليها مشايخ القرى والعمد والاجلاف * فلا

يوجد في البلد من لايشربها الا آحاد * وقد اختلطت بسببها الانساب في القرى والبنادر * فلا تجد ولدا يشبه اباه الا النادر * وقد فقدت الغيرة فلا انكار ولا انتقاد * واذا تأمل عاقل فيما تركناه من الاحكام * قال ان هـذه الدار ليست دار اسلام * فلا زجر ولا حدود فما بقي الا الجهاد * فتوبوا الى الله تعالى من هـذه الذنوب * وطهروا انفسكم ودياركم من هـذه العيوب * عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عادت لكم الانكاد * وتداركوا انفسكم قبل ان تؤاخذون بما تعملون * انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون * قولوا انتهينا يارب قبل ان يحال بينكم وبين التوبة بان الله قد حكم بين العباد

« الحديث » قال صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وعاصرها وبائعها وشاريها وحاملها والمحمولة له

عقد اتفاق

اجتمع المعلم حنفي وابو دعموم ومرعي وحنيفة ولطيفة ودميانة وزبيدة ونبوية عند نديم وانابوا المعلم حنفي ليتكلم عنهم فقال مرادنا تعمل لنا مدرسة في جرنالك تعلم الاخلاق اللطيفة والآداب الجميلة ماذا تقول يا حلو . ن . حباً وكرامة ولكن المدرسة يلزم ان يكون كلامها بالعربي الصحيح ليس باللغة العامية . ح . ويمكن اننا ما نقدر نفهم الكلام العربي النحوي لانه كلام صعب على الستات والناس امثالنا . بقى انت تريد تحرمنا من التعليم بكلامك النحوي . ن . لكم عليَّ اني اخاطبكم بكلام يفهمه الطفل الصغير والرجل والمرأة من غير تعب ولا يحتاج لتفسير ولا لشيخ يقول لكم على معناه . ح . واذا كنت تمشي مثل ما كنت ماشي ماذا يكون هو احد خانقك على الكلام العادي . ن . اما ان أحداً خانقني فان ذلك ما حصل وانما رأيت بعض المشتركين في الاستاذ أرسل محاورة بالكلام البلدي تراها مطبوعة في الملزمة الثالثة نخفت ان الكتابة تمشي بالبلدي فنحارب لغتنا العربية بجيشين جيش الدخيل الاجنبي وجيش اللغة العامية فلذا جمعتكم لاخبركم اني مستعد لمخاطبتكم بكلام بسيط من جنس البلدي في سهولته ولكنه عربي صحيح . ح .

بقى الكلام المخصوص بالمدرسة يبقى بالعربي النحوي . ن . نعم . ح . الآن اسألك عن حاجة لما تحب تتكلم مع لطيفة أو غيرها تكلمها بالنحوي والا بكلام النسوان . ن . اكلمها بالعربي الذي تفهمه مثل ما تفهم كلامها العادي من غير فرق . لطيفة . اسألك عن مجلس الهوانم فقل لي على ما جرى فيه وما تمّ عليه الرأي . ن . عند ما انعقد مجلس الهوانم قالت ام حسن لما تحضر ازواجنا سكارى نضربهم . فقالت الست نجيه أولاً ضرب الرجال من النساء أمر قبيح ولا تفعله الا قليلة الحيا عديمة التربية ولا يقبله على نفسه الا رجل دون عادم الشرف ليس له بين الرجال قيمة . ثانياً ان العصمة بيد الرجال فيمكن ان المرأة اذا ضربت زوجها يطلقها اذا كان فيه حرارة وبعد ما تكون ست بيتها تصبح عدم العدم والداهية انها اذا كان معها اولاد وكانت فقيرة الحال فانها تحتار بهم وان راحت بيت ابيها تبقى قاعدة مثل الغريبة . فقالت نفوسه . اذا جاء الرجل وهو سكران نقفل الباب في وجهه ونتركه ينام على الباب لاجل يتأدب . فقالت الست سنيه . هذا رأي بطال فان المرأة اذا قفلت الباب في وجه زوجها يغضب عليها ويمكن يطلقها والواحدة اذا امكنها تطرد زوجها وتخليه ينام على باب بيتها أو في بيت ثان يبقى الرجل عندها مثل الخدام فتقل قيمته وتبهدله بين الجيران والست منا اذا ما كانت تعرف قيمة زوجها تبقى هي والكلب على حد سواء فقالت الست ام فلتاؤس . نعذّر الرجال ان سكروا ونضيق منافسهم لاجل ما يتوب الواحد منهم وكل ما جاء واحد وهو سكران نتزل عليه بالكلام المؤلم ونرذله بين اولاده حتى يعرف قيمة نفسه ويفضها سيره . فقالت الست نجيه . الواحدة اذا طال لسانها على زوجها صارت قليلة الحيا وضيعت الادب ويمكن الرجل ينفر من كلامها ويطلقها . وفي أي شريعة ان المرأة تشتم زوجها وترذله هذا رأي فاسد . نحن يلزمنا التمسك بالآداب مع الرجال ونحافظ على شرفهم ونعطيهم حقهم الواجب علينا في كل وقت حتى لو كانت الواحدة منا غنية وزوجها فقير لا بد انها تعطيه حقه وتعرف مقامه فان الرجل هو عز المرأة وحافظ شرفها وهو الساعي في المعاش التعبان فيه وعليه مدار البيت والمرأة من غير الرجل لا تساوي ابيض ولا اسود والواحدة منا على رأي المثل سيدي ما احسن وصفه لا في يده ولا في طرفه . الست عزيزه . نعمل

طريقة لطيفة نكتب للحكومة نطلب منها انها تصرف للمستخدمين السكارى نصف ماهيتهم وتعطي نسوانهم النصف الثاني وتحيل اولاد البلد السكارى على المجلس الحسبي وتعمل لهم مشرفين مثل المماتيه يحافظون على اموالهم اظن انا ان عملنا هذا العمل نحفظ حقوق اخواتنا الهوانم والستات ونهذب اخلاق الرجال . الست نجيه . لايخفاك ان الحكومة لاترضى بهذا الرأي فان كل انسان حر في ماله وهو المسئول عن بيته وعياله ومسئلة المجلس الحسبي لايجوزها قانون ولا حكومة ومع ذلك فان هذه فضيحة كبيرة للرجال وعار للنسوان وانما الرأي عندي اننا نكتب عرض حال للسكارى عن لسان ازواجهم بقلم النديم وننشره في الاستاذ ويكون من باب الرجا والالتماس فان نفع ورجعوا عما هم فيه من البلاوي يا دار ما دخلك شر وان استمروا في خسرانهم نكتب عرض حال للحكومة وتبقى تعرف شغلها فيمن يأخذ فلوسها ويصرفها في ضياع عقله وشرفه . الجميع . هذا هو الصواب ثم ان نجيه هانم كتبت لي تقول ان الستات اتفقت كلهن على انك تكتب عرض حال عن لسان نساء السكارى الى ازواجهن فانا بالنيابة عن الكل ارجوك ان تكتب عرض حال يلين الحجرويبكي الذي عمره ما يبكي وانت لا تحتاج لوصاية فانك عارف بالحالة كما ينبغي وبالله عليك ما تخلي وراك ورا في الاستعطاف بالكلام الطيب وتعال لهم من باب مسح الجوخ وهز القاووق وعرفهم شرفهم وصبر نسوانهم عليهم كل هذه المدة الطويلة و ربنا يأخذ بيدك ويجزيك عن الولايا كل خير . ن . سمعاً وطاعة لا بد ان اكتب ولو يشتموني

﴿ عرض حال نساء السكارى لازواجهن ﴾

نساؤكم اللاتي أخذتموهن بكتاب الله تعالى واستلمتموهن من آبائهن على انهن امانات عندكم وضربتم عليهن الحجاب غيرة على اعراضكم وحفظاً لانساب ابنائكم ومنعتموهن من مخالطة الرجال والخروج الى المجامع تشريفاً منكم لهن وتعظيماً لمجدكم المرتبط بعفافهن وصيانتهن يتقدمن بين ايديكم بهيئة الخضوع والادب ولسان الذل والاحترام سائلين مقام رجوليتكم ان تتفضلوا عليهن ببعض الذي تنفقونه في الملاهي ومذهبات العقل والشرف

ليسددن به رمق العيال ويحفظن لانفسهن حق التمتع بلوازم الزوجية كما يلتمسن ان تصرفوا بعض اويقات فراغكم من الاعمال بين اولادكم تلاعبونهم وتهذبونهم وتجبرون خاطرهم بوجودكم بين اعينهم والاافاذا بقيتم على ما انتم فيه ونحن حبيسات البيوت من ترونه يجالسنا ويؤانسنا في الليالي الطويلة التي تقطعونها في مجالس اللهو واللعب . هلا تأملتم وتدبرتم وعلمتم اننا خلق مثلكم يطرأ علينا من العوارض ما يطرأ عليكم ولولا حجاب الشرع وشرف الواحدة منا لساءكم منا ماساءنا منكم معاذ الله تعالى . الا ترون ان الافرنج الذين اباحوا لنسائهم الخروج لا يدخل الرجل منهم مجلساً الا وقرينته معه وهي كذلك لا تخرج من بيتها ما دام زوجها في عمله وما يفعل الرجل ذلك الا ليعطيها حقها في وقت فراغه من العمل وحيث ان خروجنا ممنوع شرعاً فوفونا حقوقنا بوجودكم معنا في البيوت للانس بكم ودفع الوحشة والريبة عنا . على ان الافرنج الذين قلدتموهم في شرب المسكرات والقعود في البيرلا يأكل الرجل منهم لقمة الا مع زوجته واولاده وقد رتب اوقاته وحددها لزوجته فهي تعلم انه يأتي ساعة كذا وانه الآن في مكان كذا فانه لا يخطو خطوة الا اعلمها بها مع انهم لا يشربون من الخمر الا ما يمرون به الطعام لتعودهم في بلادهم الباردة وانتم تركتمونا وديعة عند الاهمال واهدرتم حقوقنا واغفلتم ابناءكم وهجرتم بيوتكم ووصلتم اللوكاندات فان كنا لا نحسن الطبخ وترتيب ادوات السفرة فاستخدموا لنا من نتعلم منهن من الطابخات لنساويكم في أكل النظيف والجميل من الاطعمة وكيف ترضون لانفسكم ان تأكلوا شيئاً لم تره اولادكم ولا ذاقته نساؤكم . ولاي علة حبستمونا في البيوت اذا كنتم لا ترضون لانفسكم القرار بها وتعلمون انكم مسترسلون خلف لذائذكم لا تبالون في تحصيلها وقعتم في العار أو وردتم الى النار . اي شرف لرجل تضحك عليه اطفاله ويعاشر المرأة معاشرة الابله المجنون الى من تتزين المرأة منا بعد فراغها من عمل البيت اذا جئتمونا سكارى مساطيل لا تنظرون ولا تعقلون . بأي سوط تتأدب المرأة وقد تعطلت حواسكم بسورة الشراب وربما وقع الرجل منكم طريحاً كأنه بين يدي المرأة قتيل . افتونا هداكم الله تعالى اذا نزل علينا لص وانتم في خمود السكر من يدفعه . واذا احتجنا القوت أو اللباس وانتم مفلسون من يأتينا به واذا طردتم من الخدمة أو افلس

تاجركم ولا شيء عندنا من يمونّا وعاذا نقيت عيالنا . ارحمونا يرحمكم الله فقد ضج منكم أهل الملاء الاعلى يشكون الى الله تعالى سوء فعلكم وقبح سيرتكم ان البهيم النفور يلاين فيرجع عن نفوره ويستأنس بصاحبه ونحن نخدمكم وننظف ثيابكم وابدانكم وبيوتكم ونطبخ ونخل ونعجن ونخيط ثيابكم ونتزين لكم بكل ما نقدر عليه ولا يزيدكم عملنا الا نفوراً منا وبعداً عنا . هل نحن جنس آخر غير مألوف عندكم . تراكمت علينا المصائب فبمن نستغيث وضاقت طرق الحيل فبمن نستجير ليس لنا في هذا الباب الا نخوتكم الانسانية وغيرتكم الزوجية وتعطفاتكم على كسيرات الجناح ضعيفات الجانب مغلولات الايدي محجوبات الابصار عما في العالم من غير ازواجهن .. رفقاً رفقاً فقد دارت حولنا الضرورات . عطفاً عطفاً فقد تلوّت علينا سبل الاصطبار . حفظناكم فيما مضى فاحفظونا فيما بقي . خدمناكم بالذات فكافئونا بالالتفات . الا تذكرون اننا مع ما انتم فيه من الاغضاء عنا نجزع اذا اصبتم ونمرض اذا مرضتم ونبكي اذا غبتم ونتلهف اذا ابطأتم سيئاتكم عندنا مغفورة واساءتكم محتملة . وهذه فروض نقدمها لكم استعطافاً لخاطركم واستجلاباً لمحبتكم ولم يفرض الله تعالى علينا شيئاً من ذلك بل كلفكم بكل ما يلزم المرأة من ضروريات المعاش وما عليها الا ان تسمع وتطيع . اجيبوا ملتمسنا منكم فقد رفعنا هذه العريضة اليكم مشهدين عليكم أهل بلادنا وجموع العقلاء راجين من الله تعالى ان يلهمكم الصواب في امرنا ويردكم عن طريق الغواية الى سبيل الهداية وان يديم علينا ستره ويحفظنا من العار والنار في هذه الدنيا ويوم القرار فانه القادر على ذلك وحده جل شأنه (الامضا) حرائركم

مدرسة البنين

(نديم وحافظ)

ح . وعدتني في الدرس الماضي ان تعلمني شيئاً من الحقوق المدنية وها انا مستعد للتلقي فتفضل بما تسمح به النفس الكريمة . ن . اراك قد رقت افكارك ودخلت في طور ادبي وصلت اليه باحتكاك افكارك في افكار اخوانك التلامذة المتنورة بمصباح

الاساتذة القائمين بنقلهم من الجهالة الى العالمية فيجب عليك ان تعرف قدر نعم اشياخك ومعلميك وتحترمهم اذا حضروا وتثني عليهم اذا غابوا كما يجب عليك ان تحفظ حقوق اخوانك التلامذة الذين معك في مدرستك والمتعلمين في مدرسة أخرى وطهر باطنك من بغض ابناء جنسك فاذا رأيت أحداً متقدماً عليك في الدروس فبدل ان تحسده وتسعى في اضراره تمنى له النجاح لتنتفع به وجد لتدركه . وان ذكر امامك واحد من ابناء جنسك فتلطف في ذكره بخير وان ذكر الغير له معائب فادفعها بأدب واذكر محاسنه وآثاره وشرف عائلته ومجده في سيره فانك ان جريت على افكار الغير وذممت اخاك فقد قطعت الوصلة التي بينك وبينه ومكنت الغير منك ومنه فهو يلعب بك وبافكارك متى شاء . ولا تجعل محبتك لاخيك طريقاً لبغض غيركما فان المجتمع الانساني قاض بالتئام الاجناس ووقوف كلٍ عند حدوده وانتفاع كل جنس بمزايا الآخر وفوائده العامة وقد ملئ الشرق عموماً وبلادك خصوصاً بالاجناس المتنقلة خلف التجارة والتماس الرزق فيلزمك ان تعامل الناس معاملة العارف بحقوق المدنية الحريص على حفظ الخصائص الوطنية ولا تسع في ضرر الغير لئلا تجلب على نفسك واخوانك الدمار وتمكن الغير منك . ولا تسكت عن نصح اخوانك وتعليمهم كل ماتتعلمه مني ومن اساتذتك لتكون مدرساً ايضاً تعلم العاجزين عن دخول المدرسة او المتخوفين منها فتحثهم بمعارفك وآدابك على دخولهم معك في اماكن التعليم . واحرص على استجلاب رضا والديك بالتأدب معهما والتلطف في مخاطبتهما والاسراع في اجابة طلبهما والبعد عما يكرهانه واياك ان تظهر النفور من امر يأمرانك به بل اذا امرك احدهما بامر ورأيته ضاراً بك او به او مخالفاً للأدب او مغايراً لما عليه ابناء جنسك او خارجا عن حد طبقتك فتلطف في رده بتبيين السبب والضرر . ولا تقبح لهما عملاً خاصاً بهما وان رأيته موجباً لمؤاخذة او لعار فاسلك طريق الالتماس والرجاء مع الخضوع والخشوع ليكون رجاؤك مقبولاً مثلاً اذا رأيت والدك يأكل وهو ماش فلا تقل له ان هذا شأن الرعاع وعادة الاوباش فتنفره منك وربما قطعت مابينك وبينه بهذه العبارة الخشنة بل قل له ان بعض الناس كان عند القاضي يترافع مع شخص في قضية واورد

الشهود على صحة دعواه فجاء خصمه ببينة نفي ليدحض دعواه فعارضه بان شهود النفي يأكلون في الطريق وهذا مسقط للعدالة وبتجريح شهوده حكم له بصحة دعواه لعدم وجود مايبطلها ومن وقت ماعلمت ان الاكل في الطريق مسقط للعدالة مضيع لاعتبار الانسان عند القاضي ما اكلت شيئاً في الطريق حتى اذا اشتريت لب البطيخ الذي يأكله الناس في الطريق فاني استحي من اكله ماشياً لئلا يسقط عدالتي وهكذا كلما رأيت منه امراً مخالفاً تلطف في تفهيمه مافيه من القبح او العيب وهو يتنبه لتركه وتكون نصيحتك بهذه الصورة اوقع في النفس من التشنيع عليه الذي ربما صار اغراء على الفعل . واستشر والديك في امورك الخاصة بالبيت لتدخل عليهما السرور بارجاع امر البيت اليهما ولو تخالفهما في مشورتهما اذا رايتها غير نافعة وتعتذر لهما عن العدول عن رأيهما . واحفظ اسرارهما فانها عورتك التي اذا ظهرت كان عارها عليك . واسترعيوبهما فان مجدك الاوّل مربوط بمجدهما . واذا ارتفعت لدرجة ثروة او رتبة فارفعهما معك بتحسين ثيابهما واجلال قدرهما وابعادهما عن كل مايعيرك به متتبع لعيوبك . وتغافل عن هفواتهما معك حتى اذا تمكنت من تنبيههما فتلطف في ردهما واحرص على تعليم اخوانك التلامذة هذه الفضائل ليكون مجموع الجنس في فضيلة واحدة . والتزم الصدق في اقوالك فان الرجل اذا كذب كذبة وعلمت للناس ترقبوه فاذا كذب ثانية سقط اعتباره واهدر حديثه الصدق وعدّ كذباً حتى لو حلف لهم على امرفانهم لايصدقونه . ح . اني اذا قلت الصدق في كل شيء تعطل عليّ اموري فان الانسان يجب ان يكذب ليروج كلامه عند السامع ويقضي له حاجته . ن . هذا عين الخطاء في الفهم فان الانسان يقضي بالصدق مالا يقضيه بالكذب حتى لو وقع في جناية وأوخذ بها لاقراره بالصدق فانه اكتسب شرفاً يفوق ماكان يتمناه لو كذب . على أن الانسان اذا احتال لوقائعه فان احتياله الجزئيّ لايقدح في صدقه الكلي فان مايوجب الاحتيال وقائع يندر حصولها فلا تؤثر في عادة المرء التي رفعته بين قومه والمطلوب البعد عنه هو استعمال الكذب لقضاء لاوطار به او لغش الناس او لايقاع الفتن والبغضاء بينهم او لافساد طائفة او غيرذلك مما هو قبيح عند كل انسان . واياك ان تسرق دفاتر اخيك

او قلمه او دواته او شيئاً مما يختص به فان اقبح عيوب الانسان السرقة واللصوص انما الفت السرقة بالتعود والانتقال من سرقة البيضة الى سرقة الفرخة ومنها الى الخروف الى الثور الى الهجوم على البيوت فطهر نفسك من هذه الرذيلة وعوّدها على الامانة حتى لو خانك انسان في شيء فلا تخنه انت لانك استقبحت عمله وعلمت انه نقص فيه فكيف ترضى بالقبيح والنقص بعد ذلك • ح • واذا شتمني احد اخواني ماذا اصنع • ن • انت تعلم ان الشتم قلة حياء وبذالة لسان ولا يرضى به الا الدون من الناس فاذا شتمته في مقابلة شتمه فقد ساويته في رتبته وجرأته عليك وحرضته على التوسع في الشتم وافتراء القبائح اليك فالاحسن ان تسكت عنه سكوت حلم فانك تخجله وتسكته عنك فاذا اعتذر اليك فبادر بالسماح وبش في وجهه والتمس له مالا يلتمسه من الاعذار فانك تأخذه اسير حلمك وتلطفك معه وتصيره حبيباً بعد ان كان عدواً فلا يعود لشتمك مرة ثانية حتى لو كنت في المدرسة فلا تبادر بشكواه الى الضابط واستعمل الحلم معه اولا وثانياً فان رجع فقد غنمته وان استمر كان سفيهاً ينبغي ان يؤدب فارفع امرك الى رئيسك المتولي امرك ودعه يؤدبه بما يشاء • وكما تكره شتم غيرك لك فان الغير يكره شتمك له ايضاً فاياك ان تطيل لسانك على احد او تقبح عمل احد بغير حق او بتشنيع عليه او تغري انساناً بانسان ليؤذيه ويضره انتقاماً منه او تجعل نفسك بمنزلة جاسوس لغيرك تنقل له اخبار الغير فانها حالة مستقبحة عند كل انسان ومتوليها مسترذل مبغوض لايكلمه احد الا اتقاء شره وحسب الانسان نقيصة ان يعامل بالحسنى دفعاً لشره لا رغبة فى ذاته وآدابه • ح • اراك تعلمنا هذه الدروس وغيرك من المعلمين يعلمون علوماً شتى بين ابتدائية وعالية ولكني مع صغر سني اكره بعض امور تصدر من بعض الافاضل فاني كثيراً ما اسمع بعض الناس ممن انتسبوا الى العلم يسهرون مع ابي فان ذكر عندهم عالم او معلم قبحوا سيره وجهلوه وعدوا حسناته سيئات وافتروا له ذنوباً وعيوباً ولم يردهم علمهم عن هذا الطريق القبيح فهل المقصود بالتعلم ان يصير الانسان جراباً ملئ علماً مع عدم تأثير العلم في اخلاقه واذا كان القصد ان يصير الانسان بهذه الصورة فاي حاجة للعلم وقد ضاعت ثمرته ولم يعمل العالم بعلمه • ن • ان ماذكرته ليس امراً مطرداً في كل

فاضل معلم وانما يوجد فرد او فردان في كل اقليم تحكم عليه دناءة الاصل وكبر النفس ان يوجد العالمية في ذاته ويجهل غيره ومن اتصف بهذه الصفة تراه ممقوتاً بين الناس مطالبا نفسه بما ليست له باهل والا فاننا لم نر معلما الا وهو متحل باحسن حلية صاغتها الآداب والمعارف وله اخلاق يعشقها كل من خالطه وعاشره وقد بعد كل فاضل عن ذم الناس والوقيعة فيهم لعلمه قبح هذا الامر ولتصديه لتعليم الفضائل والتحذير من التلبس بالرذائل فاياك ان تقع مرة ثانية في حق المعلمين الذين هم ارواح الامم او ان تقيس الامة على فرد منها وما حملك على ذلك الاصغر سنك وعدم اختلاطك بالناس وستكبر ان شاء الله تعالى وتتأهل للدخول في مجالس العلماء وترى من محاسن اخلاقهم ولطائف آدابهم وحسن معاملتهم وتلبسهم بكل فضيلة ما يحقق لك هذا الذي اقوله لك الآن . ح . احب ان ترخص لي في التوجه فقد امرني والدي ان اكون عنده وقت الظهر . ن . لا بأس من جعل الدرس ما تقدم ولكن احرص على مافيه واتبع علمك العمل به ايضاً وساقدم لك في الدرس الآتي ما يلزم من مسائل العبادة ان شاء الله تعالى

نديم وحافظ

. ن . حفظت الدرس الماضي . ح . نعم واحب ان تعلمني الصلاة كما وعدتني . ن . قبل الصلاة يلزمك تعلم كيفية الطهارة . اذا كانت ثيابك نجسة يلزم ان تطهرها بالماء حتى تزول عين النجاسة ورائحتها ان كان لها رائحة ولونها ان كان لها لون ظاهر في الثوب . ح . والنجاسة التي يلزم تطهير الثوب منها ما هي . ن . هي البول والعذرة سواء كان من انسان أو حيوان عندنا معاشر الشافعية ودم الحيض والنفاس ودم الجروح والخمر ولمس الكلب المبتل والخنزير أو بيد مبتلة فكل هذه نجاسات اذا تلوث الثوب بشيء منها لا يطهر حتى يغسل وتزول النجاسة والنجاسة الكلبية تغسل سبع مرات منها مرة بالتراب . ح . البول ليس له لون وكذلك الخمر اذا كانت غير ملونة فكيف نعرف طهارة الثوب منها . ن . ان كان لها رائحة فتغسل حتى تذهب وان كانت خالية من الرائحة فتغسل حتى يغلب على ظنك ازالتها ويكفيك ان تصب الماء على الثوب المتنجس بهذه النجاسة

حتى تذهب النجاسة . ح . اذا كان الانسان ماشياً في الطريق وحيوان يبول فاصابه رشاش هل يجس ثوبه . ن . اذا كان الرشاش يرى بالعين الصحيحة ويحس باليد تنجس ويلزم غسله واذا كان لا يرى ولا يحس يعفى عنه . ح . اذا كان الانسان في زمن الشتاء والارض فيها وحل أو ماء راكد واصابه شيء من الوحل أو الماء ماذا يصنع . ن . مثل هذا يعفى عنه وان كان نجساً لان الانسان لا يمكنه الاحتراز عنه فالشرع خفف عنا ولم يلزمنا بغسل ذلك الا اذا كنت تحب ان ثوبك يبقى نظيفاً دائماً فاغسله واذا تعذر عليك الغسل او لم تجد ماء يكفي الغسل والوضوء فصل بأثر الوحل والصلاة صحيحة . ح . واذا تقيأ الانسان وأصابه شيء منه ماذا يصنع . ن . يغسل الجزء الذي يصيبه القيء فانه نجس لانه خارج من المعدة فحكمه حكم الخارج من اسفل الانسان . ح . على هذا يصير الفم نجساً أيضاً . ن . نعم ويكفيك ان تمضمض حتى يزول أثر القيء منه . ح . ورمص العين ووسخ الآذان نجس أيضاً . ن . لا بل هما طاهران والعرق كذلك طاهر وان كانت رائحته كريهة بل لو كانت رائحته رائحة المذرة فانه طاهر لا ينجس الثوب ولا البدن وانما اذا كان الرمص في العين قبل الوضوء يلزمك غسله لئلا يبطل الوضوء لانه يكون حائلاً بين الماء وبشرة الجفن او الماق وفضلاً عن كونه حائلاً فانه ضار بالعين مشوه للوجه امام الناس واذا كنت عرقاناً عرقاً له رائحة يلزمك الاستحمام لئلا يتضرر الناس برائحتك فتكون مبغوضاً عندهم ينفرون من مجالستك ومع ذلك فان تراكم العرق على الجلد يسد المسام ويحدث امراضاً صعبة فيلزمك تنظيف بدنك ليكون التنفس الجلدي مستقيماً ولا بد من غسل الافرازات الجلدية لنظافة البدن والتحفظ على الصحة . ويلزم ان لا تتهاون في الاشياء الطاهرة الملوثة للثوب مثل الطين والتراب ووسخ الجسد فان وساخة الثياب تضر بالصحة وتنفر الناس منك وتصيرك في حالة الازدراء فيلزم ان تكون ثيابك نظيفة طاهرة على الدوام ولاجل التحرز من النجاسة عند قضاء الحاجة يلزمك ان تقعد لقضائها ان كان في الخلاء او في المرحاض لئلا يصيبك رشاش البول اذا بلت من قيام ولا تقعد في مهب الريح لئلا يرد عليك البول فينجس ثيابك ولا تبل في الطريق لئلا تؤذي الناس وتنجس نعالهم وربما كان في المارين امرأة

فتستحي من المرور عليك ولو كنت مستور العورة على ان البول في الطريق وقاحة وتشبه بالحيوان البهيم الا اذا كان في محل معد لذلك فلا بأس به · ح · واذا احتلمت وتلوث الثوب بالنطفة هل ينجس · ن · اما عند الشافعية فانه لا ينجس لان هذا الماء طاهر عندهم وانما يغسل الثوب تنظيفاً وعند المالكية يجب غسله لانه نجس وعند الحنفية ان كان طرياً يغسل وان كان جافاً يفرك وعلى كل مذهب يجب عليك الغسل وهو ان تم جميع جسدك وشعرك بالماء وكذلك عند ما تتزوج كلما باضعت زوجتك يجب عليكما الغسل فانه لا تصح لك صلاة ولايجوز لك ان تقرأ القرآن او تمس المصحف او تطوف بالبيت في الحج الا بعد ان تغتسل من الجنابة بنية التطهير منها · ح · ماذا اقول في نية الغسل · ن · تقول نويت رفع الحدث الاكبر او نويت استباحة مفتقر الى طهارة فاذا اغتسلت بلا نية كان الغسل باطلاً وبقيت على جنابتك · ح . وهذه الاحكام تلزم بطرس ورحمين صاحبي · ن · هذه من احكام ديننا الاسلامي واما بطرس ورحمين فان لكل منهما رئيساً دينياً يأخذ عنه امور دينه ويعلمه الواجب عليه انما النظافة الاعتيادية تلزمهما كما تلزمك فيجب عليهما تنظيف جسدهما في الحمام او بالاغتسال في البيت وتنظيف ثيابهما لاجل حفظ صحتهما وعدم تضرر الناس منهما ولا تنس انسهما بالنظافة وحسن الثياب فان النفس تسر بما تراه من حسن هيئة البدن والثياب وتنقبض بالوساخة والروائح الكريهة فالدين ليس بشرط في النظافة والتجمل باحسن ما عند الانسان عندخروجه الى المجالس العامة ويلزمك ان تنبهما على ما يلزم من هذ القبيل فانهما ابنا وطنك وانسانان مثلك والدين لا يمنعك من نصح غيرك وارشاده فيلزمك ان تحافظ على دواعي الالفة ما دمت في المجالس العامة فاذا جاء وقت العبادة ذهبت الى المسجد وذهب كل الى الكنيسة وبعد العبادة تعودون لتناول اشغالكم بلا تنافر ولا اضرار فان الحقوق المدنيه تقضي عليك بامور كثيرة

الانسجام

هو عبارة عن خلو الكلام من التعقيد والحشو والكلمات المهجورة والالفاظ المستهجنة مع عدم تكلف الشاعر او الناثر شيئاً من الانواع الهم الا ما جاء منها عفواً واسترساله في موارد الرقة حتى يصير البيت او القصيدة كالماء المنسجم وقد اعتنى به المتأخرون فهذبوه ورفعوه الى ذروة الكمال واللطف وهو اليق ما يكون بصدور القصائد والغراميات فان اتى به الشاعر في مدح او هجو او فخر او رثاء دل ذلك على اقتداره وقوة ملكته والقرآن العظيم كله من هذا النوع وانظر الى الفاتحة التي يحفظها العوام والصبيان والنساء لسهولتها وانسجامها وتأمل آية الكرسي الشريفة تجد انسجامها احلى من انسجام الماء وانور من نيري السماء وقد اشتملت على تسع جمل كل جملة تنادي بشأن من شؤن الحق سبحانه وتعالى تحته حيثيات شتى الاولى . الله لا إله إلا هو الحي القيوم فهذه لبيان وحدانيته والرد على من جعل مع الله إلهاً آخر او نسب اليه شريكا او ولداً او بنتاً تنزه ربنا عن ذلك وانه حي لاسبيل لورود الفناء عليه قيوم اي دائم القيام بتدبير ملكه من ايجاد واعدام وحركة وسكون وخلق ورزق وغير ذلك من الشؤن . والثانية لاتأخذه سنة ولا نوم أي انه كما كان قيوماً مدبراً لملكه فانه لاتأخذه سنة اي فتور يتقدم النوم فان القيوم اذا نام او فتر غفل عن ملكه فتلاشى ووجود هذه الاجرام العظيمة على نسق لا يتغير دليل على انه لاتأخذه سنة ولا نوم وفيه رد على من اتخذ آلهة من الانسان فانه تأخذه السنة وينام وهذه صنعة العبيد لا الآلهة . الثالثة له ما في السموات وما في الارض اي ان ما في السموات من فلك وملك وكوكب ونفس وما في الارض من عنصر ومعدن ونبات وحيوان ملك له وخلق لاتصرف لاحد سواه في شيء منها وفيه رد على من يعبدون الكواكب والحيوان فانها اذا كانت مملوكة للغير مصنوعة له مقهورة بفعله مسيرة بامره كيف تكون آلهة تعبد مع فقرها وعجزها وانحصارها في قبضة الغير فهذا الغير المالك لها هو الاحق بالعبادة والتوحيد جل شأنه . الرابعة من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي ليس لاحد ان يتقدم بين يديه بالشفاعة لاحد الا من اذن له من خاصته واحبابه وفيه دليل سطوته وجبروته وكبريائه وانتهاء العظمة الى حد ان

لا يجرأ احد من خلقه كائنا من كان على الشفاعة قبل ان يأذن له . خامسة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم الضمير ان رجعان الى السموت والارض باعتبار ما فيهما من العقلاء اي يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم وما هو حاصل فيهم جزئيا وكليا فلا تغيب عن علمه ذره ولا يشذ منه هباء وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين . السادسة ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء اي لا يحيط احد بشيء من معلومه تعالى الا بالذي شاء ان يحيط به من جزئيات الاكوان وصورها وفيها اثبات لحجب الخلائق عن الوصول الى مفاتح الغيب وانه لا يعلم اي مخلوق الا ما تصل اليه انظاره وافكاره من المرئيات علماً قاصراً عليها غير بالغ حد معرفة الحقائق على ماهي عليه في نفس الامر وفيها رد على منكرى معجزت الانبياء وكرامات الاولياء فانه تعالى اذا شاء علم نبيٍّ او وليٍّ بكائن غيبي فتح له باب الوصول اليه فيخبر عنه قبل حصوله ويترجم عن الماضي بما كان عليه من غير ان يراه ويتكلم في علوم لم تكتب في اوراق ولا مارس شيئاً منها مما هو مشاهد في كل عصر من الاولياء وما ثبت في الكتب السماوية من أخبار الانبياء . السابعة وسع كرسيه السموات والارض اي علمه او ملكه او سرير معين تحت العرش كما جاء في الحديث الشريف ما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة وفيها دليل على احاطته بكل كائن علماً وحفظاً وتدبيراً فان السموات وما فيها اذا كانت كحلقة في الكرسي والكرسي كحلقة في العرش ونسبة العرش الى ما فوقه من حجب الجلال والعظمة كنسبة الحلقة الى الفلاة كانت جزءاً صغيراً من كل كبير وهذا الكل مقهور لكبريائه متحرك بارادته فقهر الجزء ودخوله في باب العلم والاحاطة مع صغره عن الكل اولى فسبحان من قهر بعظمته كل مخلوق . الثامنة ولا يؤده حفظهما اي لا يثقله ولا يعجزه حفظ السموات والارض وما فيهما فانه ما خلقهما الا وهو قادر على حفظهما ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وفيه رد على من ينسب الحوادث الجوية الى الكواكب والحوادث الارضية الى الطبيعة فانه اذا كان

حافظاً لهما كان حافظاً لما فيهما لزوماً ويلزم من حفظهما وحفظ مافيهما ان لايقع فيهما الا مايريد واذا امتنع وقوع غير مراده امتنع وجود مؤثر سواه . التاسعة وهو العليُّ العظيم اي هو العلي في ملكه وسلطانه وتصرفه واستئثاره بتدبير ملكه العظيم في عزه وجلاله ومهابته وكبريائه فلا يشبهه شيءٌ من العوالم ولا هو من شيءٍ منها بل هو العلي عن الصفات الخاصة بالعبيد المعظيم بالصفات الخاصة بالالهية ففيها الرد على القائلين بالحلول والجسمية والابوة فانظر لفخامة قدر هذه الآية واشتمالها على علم الاصول برمته وما يلحقه من احوال النشئتين مع انسجامها وسهولة تركيبها ورقة الفاظها تعلم الفرق بين انسجام القوي القدير وانسجام العواجز الضعفاء فلو تملق البلغاء بحبال الفصاحة في سقف البيان وامطرتهم السماء بدل المياه معاني وانحصرت انوار النيرين في عقولهم ما قربوا من باب مجاز الوصول الى مبدأ هذا البيان فضلا عن الحوم حول حماه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا

﴿ جواب على سؤال ﴾

السؤال . ما هو البرهان الذي رآه سيدنا يوسف حتى عاد عن الهم بامرأة العزيز فقد اختلفت العبارات فيه

الجواب . اعلم ان الهم مشترك في اللفظ مختلف في المعنى فانه منها كان بقصد الفاحشة ومن سيدنا يوسف لدفعها عنه والدليل ان الله تعالى قال قبل ذلك في جانبها وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك فاثبت مراودتها التي تثبت ان همها كان للفاحشة خصوصاً وقد وجدت القرائن من تغليق الابواب وقولها هيت لك . وقال في جانب الصديق قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي فشهد عليها بهم الفاحشة وشهد له بالانصراف عنه وعنها فلم يبق الا ان يقال ان الهم مختلف ولو اتحدا لقال ولقد هما بالفاحشة او ببعضهما فلما اعاد الهم تحققنا انه غير الهم الاول فهمت به مراودة وهم بها مدافعة كادت تفضي الى ضربها ولو فعل لامرت بقتله ولولا ان رأى برهان ربه وهو النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش فيكون هم بها جواب لولا ويكون

النظم ولقد همت به مراودة وطلباً للفاحشة ولولا ان رأي برهان ربه همَّ بها دفعاً بالضرب المؤدي الى قتله لو فعل كذلك لنصرف عنه السوء اي القتل والفحشاء اي الزنا ولمثل هذه الآية في حذف اللام من جواب لو وتقديمه عليها امثال منها قوله تعالى « ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبه » فالبرهان هو نبوته وعلمه بتحريم الزنا على الافراد فضلاً عن المرسلين وتيقنه من انها تأمر خدمها بقتله لو ضربها في دفعها عنه او عن الفاحشة . والذين لهم تعلق بهذه القصة شهدوا ببراءته من كل سوء فلم يكن هناك وهم لحمل الهم على همه بالفاحشة فالله تعالى اخبر عنه بقوله قال معاذ الله وقال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال انه من عبادنا المخلصين . والطفل شهد بقوله ان كان قميصه الى آخر الآيتين والمرأة قالت للنسوة انا راودته عن نفسه فاستعصم فشهدت على نفسها بطلب الفاحشة وله بالعصمة وقالت بين يدي الملك الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه و زوجها قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم خاطب الصديق بقوله يوسف اعرض عن هذا ولو همّ بها لقال له استغفر لذنبك كما قال لامرأته واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين فأثبت الذنب لها وعدها في الخاطئين وابليس قال لأغوينهم اجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ويوسف من المخلصين بشهادة الله تعالى في قوله انه من عبادنا المخلصين . ويوسف قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي اي فلا اخونه في عرضه فان ذلك دناءة وخسة من الافراد فكيف من مهبط الرسالة وقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصبُ اليهن اي انه الى ساعة الدعاء التي هي على بعد من الواقعة بكثير لم يصب اي لم يمل الى النساء ولا هم بحبهن فضلاً عن القرب من الفاحشة . والنساء اللاتي قطعن ايديهن عند ما قال لهم الملك ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه فأثبت انه كان منهن مراودة كما كان من سيدته فلما سألهن قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فاذا شهد الله تعالى ويوسف الصديق والطفل والمرأة وزوجها والنساء وابليس على عصمته وبراءته من السوء كيف نحمل الهم على الفاحشة وهو تكذيب لهذا كله نعوذ بالله من ذلك . وأما ما قيل من انه عليه السلام جلس منها مجلس الرجل من المرأة أو انه هم بحل التكة أو انه حل الهميان وجلس منها

مجلس الخائن أو انها استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابه وان البرهان استحياء المرأة من صنم عندها فقامت لتستره فاستحيا من ربه او انه رأى يعقوب عاضاً على اصابعه ويقول له اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبياء أو ان يعقوب ضربه في صدره فخرجت شهوته من انامله أو انه سمع صوتاً في الهواء يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير يكون له ريش فاذا زنى ذهب ريشه أو انه لم ينزجر برؤية يعقوب فجاء جبريل فركضه فلم تبق فيه شهوة فكلام لا يقوله الا جاهل بمقام النبوّة والرسالة متتبع للخرافات من غير بحث فيما تؤدي اليه ولو علموا ان ذلك يؤدي الى تكذيب الله تعالى في الاخبار عنه بالعصمة والانصراف عن الهم لما تجرأوا على مثل هذه المفتريات التي اخفها يشين اقبح الفساق فضلاً عن نبي مرسل ولا يغرنك نسبة هذه الاقاويل الى مثل ابن عباس وعكرمة وقتادة وسعيد وجعفر الصادق وغيرهم فان مفتري الخبر مفتري النسبة ليروجه عند ضعفاء العقول كما لا يغرك وجود هذه المفتريات أو بعضها في بعض تفاسير من لا يتحاشون النقل من السير وأخبار القصاص اذ لو حصل منه ادنى سوء للزم ان يستغفر الله تعالى منه أو يتوب ولا خبرنا الله تعالى بذلك في قصته كما اخبر عن كثير من الانبياء ممن وقعت منهم صور المعاصي فاردفها بالاستغفار أو التوبة — ولله در الامام فخر الدين الرازي حيث قال هؤلاء الجهال الذين نسبوا الى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة ان كانوا من اتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وان كانوا من اتباع ابليس وجنوده فليقبلوا شهادة ابليس على طهارته ولعلهم يقولون كنا في أول الامر تلامذة ابليس الى ان تخرجنا عليه فزدنا عليه في السفاهة كما قال الخوارزمي

وكنت امرءا من جند ابليس فارتقى * بي الدهر حتى صار ابليس من جندي
فلو مات قبلي كنت احسن بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

والله تعالى يحفظنا من الخروج على انبيائه بما لا يجوزه عقل ولا نقل ويوقفنا عند تنزيه هذا المقام الشريف من كل سوء بفضله جلت قدرته

— * —

﴿ جواب على سؤال عن ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾

ارم اسم ابن سام بن نوح جد عاد بن عوص ابن ارم فهو اسم لقبيلة عاد او اسم لبلدهم التي تسمت باسم جدهم بدليل قراءة الاضافة اي بعاد ارم والمراد بعاد أولاده سموا باسم جدهم كما يسمى بنو هاشم هاشما وان اردنا بارم القبيلة كان المراد بذات العماد ذات الاخبية والخيام التي لا بد فيها من العماد والعماد بمعنى العمود أو ذات البناء الرفيع لما كان في تلك القبيلة من الشدة والقوة والصبر على الاعمال الشاقة كما قال تعالى فيهم « اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » وان اردنا بها البلد كان المعنى انها ذات ابنية مرفوعة على عمد محكمة الصنع . والمراد بقوله لم يخلق مثلها اي مثل عاد في صبرهم على نحت الصخور واتخاذ البيوت في الجبال وما يروى من ان شداد بن عاد ملك الدنيا ودانت له ملوكها وسمع بذكر الجنة فبني مدينة سماها ارم اقام في بنائها ثلثمائة سنة وعاش تسعمائة سنة وبني قصورها بالذهب والفضة وجعل اساطينها من الزبرجد والياقوت ووضع فيها اصناف الاشجار والانهار ثم سار اليها باهل مملكته فلما كان على مسيرة يوم وليلة منها بعث الله تعالى صيحة من السماء فاهلكتهم وان عبد الله بن قلابة ندت ابله فخرج في طلبها فوصل جنة شداد وحمل ما قدر عليه منها وبلغ خبره معاوية فاستحضره وقص عليه قصته فبعث الى كعب الاحبار فسأله فقال هذه ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله هو ذلك الرجل . فما لا دليل على صحته بل هو من وضع القصاص فان شدادا لم يملك الدنيا ولا اثر له في غير بلاد العرب وما جاورها وتاخمها وخبر كعب الاحبار لا بد وان يكون مذكوراً في كتاب ولا كتاب تسند اليه اقاصيص كعب الا التوراة وليس فيها شيء من القصة ووصف ابن قلابة ويستحيل على ملوك الدول الآن بناء مدينة من ذهب وفضة ولا يوجد في معادن الزبرجد والياقوت ما يكفي لعمل عمد قصر فضلاً عن مدينة قضى العمال في بنائها ثلثمائة سنة فيلزم لها من العمد ما يساوي جبلاً عظيماً خصوصاً وانها عمد تقطع كما تقطع الصخور فلا بد وان يكون قد تخلف من الاحجار الثمينة عند قطعها ما يكون حلياً للعالم اجمع ولو كان شيء

مثل هذا و يعلمه كعب لكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعلمه اولى ولم يصح عنه شيء في هذا على ان عادا كانوا يسكنون بين عمان وحضرموت وهي بلاد الاحقاف وكلها أرض ذات رمال ولم يكن فيها معادن ذهب ولا فضة ولا ياقوت ولا زبرجد وان قيل انه استحضر الذهب والفضة من بعيد قلنا ان هذين المعدنين لم يكونا مستخرجين ومستعملين بقدر ما هما عليه الآن ومع عناية الامم باستخراجهما في العصر الحاضر فان المستعمل منهما لا يكفي لبناء مدينة يصرف الصناع في بنائها ثلثمائة عام والقرآن الشريف لم يتعرض لهذه القصة ولا ذكر شيئاً ما يومي اليها فلا نعول عليها والحق ان ذات العماد وصف للقبيلة او لبلادهم المحكم بناؤه الصخري أو المنحوت في الجبال فان القصد زجر الكفار بان الله تعالى اهلك عادا مع شدتها وقوتها وعملها الاعمال العجيبة كما اهلك ثمود اي قوم ثمود الذين جابوا الصخر اي قطعوه واتخذوه بيوتاً وكما انزل الهلاك بفرعون ذي الاوتاد فهو قادر على اهلاكهم لتكذيبهم رسوله كما اهلك من كذب رسله السابقين والله اعلم

بعض كلمات من كلامه ارسلها امثالاً

ادبك حياتك فطول او قصر . روحك غذاؤك فاصلح او افسد . علمك قدرك فارفع او اخفض . انت لا انت فاعرف من انت تعرف . ترك الحزم يضيع الفرص . بعدك عن الشر مع حب اهله وقوع فيه . كن حيث صرت تقطع العقبات وانت جالس . كل حلاف كذاب . اذا استقبحت ما انت عليه فاختر لولدك مهذبا غيرك . امرك بيدك فاذا جذبته مطامعك تبدد . بين المبدأ والغاية التبصر فاحفظه تصلها . يومك كامسك فاعد لغدك ما تخيرته منهما . لا تضق صدراً الا بما لم يحل بمثلك . أصل الدناءة دناءة الاصل . رد بابك دون امر لم تحضر تأسيسه . دولة بلا قانون فوضي وان كثر الرعاة . كل ملك فوض الى الاحداث ضاع . اكبر لذات الملوك حرب تعدم الانسان . وقوفك عند العادة يقطع طريق الزمنيات عليك . تعلم الصنعة وانت غني عنها تحل بينك وبين المعوزات . مملكة يسوسها غارق في الشهوات مقبرة تزار ولا تسكن . اذا طلبت الراحة فارجع الى ظهر أبيك . اذا سميت ممكن غيرك مستحيلاً فانت العاجز .

جهلة الحكام حكام الجهلة . لن للظالم ماتنبه فان غفل فاحمل عليه . اذا وصلت الغاية فقف فوزاً كانت او خذلاناً فما بعدها الا العدم . لك عندي بقدر مالي عندك فلا تطالبني بمنزل لم تبنه . اذا ساعدت الاجنبي على اخذ بلادك فلا تغضب اذا نام في فراشك . المتجنس بجنسيتك طامع في متاعك او جاهك . اذا حركت الخواطر لامر فكن الاول فعلاً . من اهان ظالماً عدّ من الابرار . المطامع تحت اقدام الفرص متى تحركت وثبت . اقوى سلاح الطامع فيك اغترارك بلينه . اذا ولعت بالخمر فاحرص على نصف مالك لكفن شرفك . كل ذي امل ينتظر غفلة مثيله فكن الحذر وما عليك اذا لجئت من جهل حقائق الامم قادته المرئيات . أحسن معاملة الاجنبي واحرص على خصائصك . اذا كنت وسيلة للغير فكن فضيلة لقومك . قلبك مرجع حسك فلا تقبضه بكريه المحسوسات . كل بعيد قريب وانما تبعده الابصار او الهمم . كن كيف شئت اذا لم تجد لائماً . مخك اثيرك فلا ترفع دخان الغضب اليه يمد عليك صواعق . كما يدل اللسان على العلل كذلك يدل على الامل . التمدح بالازواج بين الرجال دياثه . المشرب السياسي يغالب الجنسية والدين فانظر مع من تكون . جنسك وليك فاذا واليت غيره فوق الحاجة انكرك الانسان . اذا نفذت كلمتك فاحفظها بالرفق وايدها بالاستقامه . اذا اختلفت الاحزاب فكن مع احفظها لوطنك . سُحُ الكائنات فان وجدت خالداً بالجبن فمش بما عاش به . اذا رأيت المعذبين في الحرية فجد في تخليصهم او اللحوق بهم . اذا صح تأثير المعدوم في الموجود صح تأثير مختل الملك في منتظمه . وثوقك بغير المجرب بله . علم ولدك الكلام وما عليك اذا أخرسته العوارض . اذا صاهرت من هو فوقك فتعلم عبادة الاوثان قبل الأقدام . اوص على أهلك قبل ان تخرج للفتنة . اذا صرت في الغوغاء فلست شريفاً . اذا ألقيت السلاح تعباً فانت المقتول . تغافلك عن اهل العيوب فضيله . من نام في جحور الافاعي خافها . مسكن بين الاعادي حبس رديء . غاية السعي رغيف اوردا . من فوض الامر لمولاه استراح . فقد الرجال علامة التقهقر . من امرك بغير حق فأتمرت له هان عليه دمك . اجهل بجهل زوجتك تلتذ ولا تجهل بجهل الملوك تقتل . هيبة الظالم بالسلاح وهيبة العادل بالصلاح . اذا حكمت فتجنب

مالا ترضاه لنفسك الا بحق . من يحملك ميتاً يحملك حياً فصله واقطع غيره . تجاهل العالم وقت الرجوع اليه انقلاب الى الحيوانيه . اذا ربحت في القمار ديناراً فهيئ ماتملك للخساره . اذا سُست أمة جسمها في ملكك وفكرها في غيره فقد اضعت نفسك والملك معاً . بالمقول تعرف العقول فمنوّن عقلك باحسن مافيه

جزاء فعال السوء في العدل مثلها * فنفس بنفس والجروح قصاص

دنوك من مرضي القلوب تعرض * لعدواك فاحذر فالدواء عزيز

ذوق المعاني لذة * وسواه يأتي بالهوس

ذم التقى وأهله * أمر يحسن لي الطرش

خذ من زمانك صفوه * ودع التعمق تسترح

تربية الابناء

اشتغل الكتاب قديماً وحديثاً بوضع الكتب والرسائل في تربية الابناء وتهذيبهم ونقلهم من حضيض البهيمية الى اوج الانسانية ومدار الكمال وقد اختلفت عباراتهم باختلاف الافكار وتباين الاقطار وكان للشرق القدم الراسخة في هذا الباب فتهذب رجاله وترقوا الى أعلى مقامات الفضل بما أخذوه عن اساتذة التربية وكانت طريقة التعليم واحدة في جميع أقطاره ثم انتهى الى تعلم العلوم من طريقين طريق التلقي عن الاشياخ وسموه الطريق الديني وطريق الاخذ عن الاساتذة وسموه التعليم المدرسي وهذا الاسلوب معترض عند الاوروباويين فانهم الآن محل الاختراع ومرجع الترتيب فالحسن ماحسنوه والقبيح ماقبحوه والرواية ان لم تنته اليهم فهي باطلة والنسبة اذا لم تتصل بهم فهي عاطلة وهذا الذي الزمنا المدول عن البحث في طرق تعليم الشرقيين الى النظر في طرقهم لنجاريهم فيما هم فيه فان التمدن موقوف على تقليدهم والاخذ بطريقتهم والهمجية لاتوجد الا في مخالفتهم والعمل بغير آرائهم . ولا بد لنا معاشر الشرقين من مجاراة الامم

المتمدنة للخروج من مضيق التوحش المنسوب الينا ما دمنا على تعاليم اسلافنا ولا نصل الى هذا المقصد الا بالوسائل التي اتخذتها أوروبا وكلها محصورة في طرق التعليم وهي انهم خلطوا التعليم الديني بالتعليم المدرسي وصيروهما طريقة واحدة فبنوا في كل مدرسة كنيسة يصلي فيها التلميذ قبل الدخول الى الدرس وعند انتهاء الدروس ليخرج من صغره عارفاً بواجباته واتخذوا المعلمين من القساوسة فالكاتب والحاسب والرياضي والطبيعي حتى فراش المدرسة وطباخها كلهم منهم فقد جرَّبوا انفسهم في الوحدات الجامعة فلم يجدوا انفع من وحدة المذهب ولذا تجد الكتب التي بايدي الاطفال كلها محشوة بالامثال الدينية فاذا ترقى الطفل الى درجة عليا وجد العلوم الرياضية والطبيعية مخللة بقواعد دينية ليكون المذهب ملحوظاً بعين الاعتبار محفوظاً عند الصغار و الكبار وقد حتموا القيام بالمظاهر الدينية على الاطفال والنساء والفتيان والشيوخ حتى انك تجد أرباب الفكر الحر الذين لايدينون بدين يجارون المتدينين فيما هم فيه فلا يقدر احدهم على فتح دكانه يوم الاحد بل يقفله موافقة للسواد الاعظم ولا يأخذ زوجة بغير تكليل شرعي ولا يترك ميته يفارق الدنيا من غير أن يستحضر له قسيساً ولا يشتغل في أيام الاعياد تظاهراً بعدم اعتقاده ولا يطعن في دينه وهو في مجمع أدبي او علمي ولا يسكت عن اقامة الحجة على صحة دينه اذا عورض فيه . وما يعتقده من فساد العقيدة على زعمه الفاسد انما هو امر باطني لايتظاهر به الا عند من يماثله فيه . وهذا الذي جمع وحدة اوروبا الاجماعية وان اختلفت المقاصد السياسية التي هي في حكم الفروع لهذا الاصل الوثيق . ثم انهم يدونون كتب التعليم بلغتهم المستعملة في وطنهم فلا تجد فرنسوياً يتعلم بالانكليزي ولا رومياً يتعلم بالالماني ولا نمساوياً يتعلم بالروسي ولا ايطالياناً يتعلم بالاسبانيولي بل كل دولة تحافظ على لغتها بجعل التعليم بها فتجد جميع الكتب العلمية موضوعة بلغاتهم الا ما يكون من بعض الكلمات التي تضعها العلماء باللسان اللاطيني او اليوناني فانها تقرأ بين أهل كل لغة باللاطينية او اليونانية لانها في حكم الاصطلاح الذي لايتغير ولكنهم يترجمون المعنى بلغتهم فاذا تعلم التلميذ كلمة اخذ معناها معها حرصاً على بقاء اللغة حية بمعرفة معاني لسان الغير بها . وهذا الذي طلبنا له عقد

جمية علية . والسبب الباعث على المحافظة على اللغة انها العنوان الجامع للجنسية الحافظ للتاريخ الداعي لاجتماع الافراد اذا تفرقت الامم فالمحافظة على اللغة محافظة على الجنسية بل على الملك وما يشتمل عليه ولهذا لاتميل اية دولة لنقل التعاليم من لغتها الى لغة أخرى مهما مست الحاجة اليها ولا تعطي شهادة لتلميذ اذى الامتحان في جميع العلوم بغير لغته مهما كان تمكنه من اللغة الاجنبية عن لغته وبهذه الوسيلة حفظت مقاصد الدول وامتازت كل أمة بخصائصها التي حفظتها لها لغتها . وكثيراً ماسمعنا ورأينا اناساً من اوروبا اختلطوا بغير جنسيتهم وتكلموا بلغتهم ثم جاء ابناؤهم من بعدهم وتعلموا بلغة الغير فانسلخوا من جنسيتهم وتجنسوا بجنسية من يتكلمون بلغتهم كما حصل في الالمان الذين تأنجلوا والذين تفرنجوا أيام ثورات الاوسترغوط والنورماندية وغيرهم وما ذلك الا بترك لغتهم واستعمال لغة الغير التي حكمت بتسليم الذات تبعاً لها . ومن مبادئهم تعليم روابط الجنسية وشرفها ووجوب المحافظة عليها فيخرج التلميذ عارفاً بقدر نفسه محباً لابناء جنسه حافظاً لتاريخ قومه عالماً بثارات الدول معهم وارتباطهم بغيرهم محيطاً بالفروع التي تفرعت من جنسيته والاقطار التي حلت بها باحثاً فيما يحفظ وحدة جنسيته ويجمع كلمتها ويرفع قدرها وينمي ثروتها ويكثر عمارتها ويقدم تجارتها ويصلح زراعتها ويحفظ حدودها وينور افكارها فما رأى فضيلة في امة الا نقلها اليها ولا مزية في موجود الاسهل لها الحصول عليها وبهذا رأينا كل جنس في اوروبا مرتبطة افراده ببعضها ارتباط أهل بيت واحد وان توزعت الاهواء حول المشارب السياسية والمذاهب الدينية . ومن مبادئهم تعليم التاريخ الملي والوطني فيعرف كل تلميذ اصول آبائه والمتقلبين في وطنه وادوار عمرانه واسباب تقدمه وتأخره والعوارض التي طرأت عليه من خير وشر والامم التي هاجته والتي تاخمه والتي توادّ اهله والتي تنافرهم ومن تاريخه يعلم الرجال الذين خدموا وطنه من سياسيين وحربيين وكتاب وفضلاء فترى الامة سارية خلف رجال الطبقة الاولى من المدربين على الاعمال معضدين آراءهم معارضين اعداءهم فاذا شرع العظيم منهم في مشروع نافع للوطن وأهله رأى الامة أمامه منادية بصوته مؤيدة مبتكراته فيقوي بذلك عزمه ويسهر

في طلب راحة الامة وتقدمها فرحاً بمعرفة الامة لقدره مسروراً بتدوين الامة لتاريخه اذ لا بد لكل انسان من غرض ذاتي مهما كانت حرية ضميره في أعماله ولا غرض لخدمة الاوطان والامم من كبار الرجال الاحفظ تاريخ حياتهم بين الامة التي يخدمونها ويتركون لذائذهم ومشتهياتهم في جانب تمتع الامة بنتائج افكارهم التي تركوا اللذائذ والمشتهيات لاجلها . وفي مقدمة رجال الهمم والآثار الملوك والوزراء فترى صورهم مرتسمة امام التلميذ واعمالهم مدونة بين يديه فيعرف قدر ملوك وطنه وشرف المحافظة على بيت الملك والدفاع عن اهله ومنصبهم الجليل اذ لا شرف لامة لا ملك لها ولا مجد لمملكة اضاعت بيت ملكها ولهذا نرى الاوروباويين متعاضدين على حفظ ملوكهم متدافعين في طريق وقايتهم من العوارض الضارة قائمين باداء واجباتهم وفروض رسومهم كما نراهم يتمدحون بوزرائهم وينادون بمجدهم وينشرون اعمالهم في جرائدهم ويحفظونها في في تواريخهم ويعاملونهم معاملة الآباء الرحماء ويعظمونهم تعظيم اشرف الناس واعلاهم قدراً . وبهذا افنى الوزراء اعمارهم في خدمة الامم وجدوا في حفظ اوطانهم وجلب موارد الثروة اليها وتربية ابنائها تربية الحكماء المدربين على جميع الاعمال ومن مبادئهم تحذير التلميذ من الثورة على ملكه او احداث الفتنة بين قومه وتنفيره من الانضمام الى الاحزاب الفوضوية وتقبيح كل مخالفة لاوامر ملوكه ووزرائه التي تصدر للاصلاح واحياء المعارف والصنائع ووقاية الملك من الاعداء . ويذكرون له بعض قصص الثائرين وما تم لهم من العقاب وبعض المعارضين وما انبني على معارضتهم من الدمار فيخرج التلميذ قريباً من كل خير للوطن واهله بعيداً من كل شر للوطن واهله . ثم يضيفون لهذا كله تاريخ الامم وما لهم من العلائق والروابط ويضمون الى ذلك مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات والارشاد الى الاقتصاد المالي والانتظام البيتي وتعليم ضروب التجارة وما يلزم لها فاذا تمت له هذه المبادئ وانتقل منها الى العلوم العالية خرج من المدارس قابلاً للكمالات مستعداً للادارات مؤهلاً للسياسيات فلا يزال يطبق عمله على علمه واشغاله تشهد له حتى ينتظم في سلك الرجال العظام وهناك تظهر ثمرات مجرياته وفوائد مخترعاته ومروياته ويشار اليه بانه الرجل الذي بحسن تربيته وشريف عمله زاحم بمنكبه اعاظم

الرجال . وهذه التربية هي التي رفعت ممالك اوروبا الى اوج السعادة والمنعة وانتهت باممها الى سنام الكمال

ومن هذا الانموذج نعلم ان رجال الدين في اوروبا هم اساتذة السياسة ورجال السياسة هم حفظة الدين فاتحد المبدأ والغاية وهذا عكس ما نراه في جميع اهل الشرق فان العلماء مبتعدون عن السياسة مقتصرون على العلوم الدينية فاذا عرض عليهم امر سياسي احجموا عن الخوض فيه لجهل طرقه وان تكلموا فيه بالجراءة كان الخطأ اكثر من الصواب لعدم اشتغالهم بمثله ولهذا اهملهم الامراء في المجامع السياسية واخذوا بآراء من هم دونهم في الرتبة العلمية اذا كان من المشتغلين بالسياسة المدربين على اعمالها مع ان فريق العلماء احق الناس بالاشتغال بها والتفنن فيها وغوص بحارها فان نوازل الملوك تقضي عليهم في الغالب باستشارة العلماء فاذا جهلوا ما استشيروا فيه ربما اشاروا بما فيه ضرر الامة وهم يظنون انهم محسنون صنعا بخلاف ما اذا اشتغلوا بالامور السياسية فانهم بما عندهم من تربية الملكة واقتدارهم على فهم عويص المعاني يمهرون في السياسة ويتقدمون على المشتغلين بها عمراً طويلاً اذا اشتغلوا بها زمناً قصيراً وليس في النصوص ما يمنع من الاشتغال بها حتى نعده معصية بل كل العلوم الشرعية من قواعد السياسة فان ابواب البيوع والزروع والوقف والحرب والسلم والجنايات والشهادات والحقوق والعتق والقسمة وغيرها كلها من اصول السياسة ومن درس العلوم الكثيرة لا يعز عليه دراسة القوانين والمعاهدات الدولية والاخبار اليومية بعد ان تمت له المعدات ومواد التحصيل . فما لنا نتقاعد عن طرق اوروبا النافعة ونسعى في طرق تفقدنا معاشر الشرقيين روابط الجنس واللغة والوطن والدين وما لنا غفلنا عن مبادئ الجمعيات الاوروباوية وسلمنا اولادنا الى اساتذتها فاعادوهم الينا متجنسين بجنسياتهم حقيقة وان شابهونا صورة فترى المصري والسوري والتركي والعراقي الذين تعلموا من بادئ امرهم على اساتذة الفرير والبروتستانت والجزويت صاروا قسما ثالثاً بين الشرقيين والغربيين اللهجة شرقية والمساعي غربية . فما ذا على اغنياء الشرق لو عقدوا الجمعيات الخيرية تحت حماية دولهم وفتحوا بها المدارس الوطنية وعلموا فيها هذه المبادئ تقليداً لاوروبا وساعدتهم الحكومة بحفظ

مشروعهم من السقوط وتسهيل طرق تعميم التعليم وتوسيع نطاق الجمعيات باعداد محافل الخطابة العلنية العلمية ونشر المطبوعات الاهلية ومكافأة النابغين ومساعدتهم على جني ثمرة اتعابهم باستخدام او تسهيل طريق معيشة او اعانة على صناعة وحفظ الامتيازات للمؤلفين والمخترعين لنمو الافكار وتكثر المبتكرات فهذه اوروبا تنادينا

عني خذوا وبي اقتدوا ولي اسمعوا وتحدثوا بغرائبي بين الورى

بمَ تقدموا وتأخرنا والخلق واحد

هذا السؤال لهجت به ألسنة الشرقيين واشتغل العقلاء به في كل الممالك الشرقية فغدوا يتساءلون فيما بينهم عن الأوروبيين ما قدمهم وأخرنا والخلق واحد . وكما دار السؤال على ألسنتهم دار عليها كثير من الاجوبة وكل واحد يزعم انه عرف السبب ووقف على علل التأخر فمنهم القائلون ان الجوّ له حكم في انفعال الاجسام بحسب ما تدعو اليه طبيعته وقد قضى على الشرقيين بالكسل والتقاعد عن الاعمال العمرانية كما قضى على الاوروبيين بالعمل وعلو الهمة وعللوا ذلك بعلل تنكرها عليهم الادوار الماضية فقد اخذ الشرق ادواراً علمية مدنية استمدت اوروبا مدنيتها من دوره الاخير ايام كانت على اسوء مما عليه الشرق الآن . ومنهم القائلون ان الدين الاسلامي مانع من التقدم وهو علة العلل في هذا الباب واصحاب هذا القول كالببغا يحكون الصوت ولا يدركون المعنى فقد قلدوا في هذا الوهم اوروباويا في قوله الذي طارت به الصحف في كل مكان وفاتهم ان الشرق ممتلئ باديان تغاير الدين الاسلامي والآخذون بها اضعاف الآخذين بالاسلام ومع ذلك فان تقهقرهم في المدنية والقوى العلمية اكثر من المسلمين بل لا نسبة بينهم وبين المسلمين في المدنية والالفة بين الناس ومعاشرة المغايرين لهم جنساً وديناً . فلو كان الاسلام مانعاً لرأينا الهند والصين في تقدم اوروبا وحالهم شاهدة بانهم احط من المسلمين بدرجات . ودعوى الاوروبي ان الاسلام سبب لحركات الشرق ضد الغرب وانه لا سكون للافكار الا باعدام القرآن والآخذين به مدحوضة بالحروب المتواصلة بين دول اوروبا المسيحية من عهد الرومانيين الى الآن وكلما كثرت

مدنيـة دولة اوروبية كثر تفننها في آلات القتال والتدمير مع سكون الشرق هذه القرون الطويلة لا يتحرك الا دفاعاً عن وطنـه الموطوء باقدام اوروبا الملوثة بالدماء الشرقية . ولا يحركه الا فتنة اوروبية ولا داعي لاوروبا في تحريك الممالك الشرقية الا الطمع الملكي والتعصب الديني وانما لشدة تمسك هذا الاوروبي بدينه كره ان يرى ديناً غيره واحب ان يسمع صـدى صوته في بلاده لتميل النفوس الى رجل غيور على الدين . وقد كان للاسلام اليد القوية ايام صولته فلم يبطش بها بمواطنيه ولا مدها الى معاهديه بل ولا حرّك بها عصاه نحو المتوحشين عند نزولهم على حكمه تحت سطوة سلطانه . ولم يكن عند رجاله من التعصب ما يحملهم على قهر الناس بالتضييق على ترك اديانهم بل خير من نازلهم بين الاخذ به او الاستيطان على حكمه وهذه خصوصـية له من بين الاديان ويكفيه من اطلاق حرية الاعمال ان وفداً من نصارى العرب وفد على سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في مسجده فلما ادركتهم الصلاة قاموا ليصلوا جهة الشرق فاراد الصحابة التعرض لهم فنعهم النبي وتركهم يصلون في حضرته لغير قبلته وعلى غير ملته وليس بعد هـذا مسلك لحرية الافكار والاديان . ومنهم القائلون ان اختلاف الجنس مانع عظيم وهذا وان كان له وجه ولكن هناك وحدات اخرى تترك للجنس خصوصيات ومزايا لا تبعده عن الانقياد للسلطة الجامعـة للاجناس . ومنهم القائلون ان الاديان سبب التخاذل الحاصل في العالم ولا سبيل لمنعه الا بتركها جملة واعدامها من الوجود وهذا الفريق مقلد لدهاة اوروبا الذين افسـدوا كثيراً من الاخلاق الشرقية بهذه الترهات والاوهام . مع انا لو فرضنا عدم صحة الاديان وانها وضعت نظامات في ايام الخشونة والجهالة ولا لزوم لها الآن مع وجود القوانين الوضعية لكان من الواجب احترامها واعتبارها فان تأثير وعدها ووعيدها في النفوس لا يبلغه قانون فان الشخص يمكنه ان يفر من عقوبة القانون أما بالبعد عن موجبها وأما بالتحايل على تأويل مواده بالوسائط ولكنه لا يمكنه ان يفر من عقوبة الله باية حيلة على معتقده . ولو ترك الناس وشأنهم لأ كل بعضهم بعضاً ولعجزت اية دولة قانونية عن ضبط افرادها ولو كان لها في كل ذراع عسكري حارس . وما ساعد الملوك على النظام وبث الامن الا القانون الديني وما فتح

الباب لاهل القوانين الوضعية الا الشرائع الدينية . والدين هو الذي يحمل العسكري على بيع حياته في حرب دينية انتصاراً للدين واقدامه في الحرب الدينية يفوق اقدامه في الحرب الملكية اضعافاً وما يدعوه للدخول في ساحة القتال الا الطمع الاخروي الآتي به الدين . فلو علم العسكري ان لا بعث ولا اجر على عملة لفر من ساحة القتال فان ارغم قاتل مكرها . ولا يقال ان الشرف الوطني يلزمه باقتحام غمرات الموت فانه اذا علم انه يقدم للموت ليفوز الملك او الامير بمراده ولا ثواب ولا نعيم فانه لا يبيع حياته بلذة غيره واذا بطل هذا كله لزمنا البحث في العلل التي اوجبت التأخر ولا نتوصل اليها الا بمعرفة الاسباب التي قدمت اوروبا فبضدها تتميز الاشياء

السبب الاول

لا ينكر ان ممالك اوروبا كانت دوقات وكونتات وايالات وممالك صغيرة وكبيرة وان الذين صيروها الى ما هي عليه الآن عائلات تسلطت على عائلات وضمت الاجزاء الى بعضها وصيرت كل قطعة عظيمة مملكة مستقلة . وعند ما تغلبت هذه العائلات خافت من تحرك الهمم خلف الاستقلال فهدتها التجارب الى توحيد اللغة في بلادها لتميت حمية الجنس التي تدفع اليها اللغة فلم يكن في بلاد فرانسا وانكلترة او المانيا من يتكلم بغير لغة البلاد والمراد بعدم التكلم بلغة الغير ان المملكة توحد اللغة في المعاملات والتأليفات والتعليم والمخاطبات فلا يستعملون لغة الغير الا لضرورة تدعو اليها بحيث لا يتوسع فيها الى حد ان تسطو على اللغة المحلية . وقد اعتنت الدول بذلك حتى ان مثل البلغار قلدت الدول الكبيرة ومنعت لغات الغير من استعمالها في مدارسها . وبهذا القانون نقلوا كل جنس دخل تحت سطوتهم الى لغاتهم فحكمت اللغات على الاجناس التي اخذتها وصيرتهم كاهلها في الاخلاق والعادات لنسيانهم لغاتهم وانفعالهم بفواعل اللغة الموضوع لها تلك الالفاظ . وملوك الشرق اخطأوا هذا الغرض وتركوا المحكومين يتكلمون بلغاتهم ويتعلمون بها فبقيت الجنسيات حية بحياة اللغة وذلت خاضعة بقدر ما دعت ضرورة الضعف والفراغ من المعدات وكلما فتح لجنس باب ثورة او محرك لاستقلال تدافع حول الداعي وتفانى في الخروج من اسر الغير يشهد بذلك الامم التي حكمها العرب ولم يوحدوا

اللغة فيهم فخضعوا بقدر ما استعدوا للخروج من سلطتهم او للتغلب عليهم حتى تمزقت المملكة وتوزعت في ايدي الثائرين والمتغلبين . والترك والفرس عند ما افرغت اليهم دولة العرب تركوا الناس ولغاتهم ولم يوحدوا لغتهم في محكوميهم لا بطريق الاجبار ولا بطريق التعليم فبقيت نار الجنسيات تحت ردم انتهاز الفرص حتى تمت المبادئ فقامت عليها الاجناس ثائرة بنفسها او منبعثة بتحريك الغير لها . ولا ينكر ذلك الا من جهل استقلال الفرس والافغان وبخارى واليمن وتونس ومراكش ومسقط وزنجبار والبلغار ورومانيا والجبل الاسود والسرب وممالك السودان والهند الاسلامية وقد كانوا تحت السلطة العربية ثم التركية والفارسية بعدها . وهذا الذي اخاف ممالك اوروبا فاتخذت ما حصل للعرب والترك والفرس كتاباً تدرس فيه وقاية ممالكها من الدوارض المعددة لوحدة كل امة منها . وكما اتخذت هذه الطريقة لتوحيد الجنسية في بلادها التزمتها في الامم المتغلبة عليها ولكنها لم تجعل الانتقال الى لغتها اجبارياً بل التزمت التدرج لذلك بتعميم التعليم بها لئلا ينفر المحكومون اذا علموا سعيها في اماتة لغتهم فهي تخادعهم باسم التعليم حتى اذا انقرضت الطبقة الحاضرة خرجت التي بعدها مذبذبة فاذا مضت جاءت الطبقة الثالثة من جنس الامة الحاكمة لغة ودينا فتأمن ثورتها وتحركها عليها لكونها صارت منها واذا دامت هذه الحرب الخفية قرناً او قرنين والشرق في غفلته منحدر في تيار الاوهام ماتت الاجناس العربية والتركية والفارسية والهندية والمغولية والحبشية والافريقية واصبح الشرق مسكوناً بامم اوروبية لغة ودينا وان ولدوا في آسيا وافريقيا

السبب الثاني

عند ما تم لكل عائلة اوروبية الاستيلاء على قطعة مخصوصة وحدت السلطة في الجنس المتغلب فلم تمكن أي انسان من المتغلب عليهم من اي ادارة فراراً من توزيع السلطة وضياع القانون بالاهواء والاميال الجنسية وخوفاً من اتساع سلطة المقهورين بما يحركهم للاستقلال . واستمرت الحال كذلك حتى تم نقل الاجناس لغةً وديناً وصار المجموع جنساً واحداً . وعند تغلب مملكة اوروبية على مملكة شرقية تجعل الادارات العالية بيد رجال منها لتوحد السلطة وتمكن من القبض على ازمة القوى الحربية والمالية والادارية

فتراها تسوق الملايين من الشرق بعشرة رجال منها . وهي لا تمكن اجنبياً من ادارتها فلا ترى روسياً قائداً لجيش انكليزي ولا انكليزياً وزيراً لمالية روسيا ولا فرنساوياً وزيراً لمعارف ايتاليا ولا ايتالياً وزيراً لحربية فرانسا وهكذا بقية الدول . ودول الشرق اخطأت هذا الطريق ولقفت العمال من الاجناس المحكومة وغيرها فانحلت عرى قواها وكثر فيها الثورات والتغلبات حتى جاءت الدولة العربيـة فوحدت سلطتها في دورها الاول فنمت مملكتها بكثرة فتوحاتها ونفذت قوانينها الشرعية والوضعية في الممالك التي ربطت خيولها بابواب ملوكها وامرائها . فلما اتسع نطاق المدنية وجنح الخلفاء والامراء الى الرفاهة والسكون اسلموا امور ادارتهم الى الاجناس المحكومة بهم فدعاهم حب الاثرة الى نزع ما بيد مواليهم وساداتهم ورجعت العرب القهقري وكثر المتغلبون وفسـد النظام وجرت الدماء في كل جهة وطمعت دول اوروبا فهاجمت الشرق بعد ان كانت ترعد من ذكره ثم انتهى الامر بجمع السلطة للامـة التركية فاخذت دورها الاول بما لا ينزل عن دور العرب بل تخطت من آسيا لاوروبا وفتحت بعض قطع منها واستولت عليها قروناً وما زالت تزاول الاعمال بنفسها حتى وقفت برزخاً ضيقاً بين اوروبا وبين بلادها وممالك الشرق ولما انتهت في المدنية الى حد الرفاهية والخلود الى الراحة وفوضت امر كثير من الادارات الى غير جنسيتها كانت تلك الاجناس الوسيلة العظمى لتداخل اوروبا في مملكتها وكذلك بقية الممالك الشرقية التي اصبحت ميداناً للعب رجال اوروبا بعقول اهلها

السبب الثالث

كل عائلة تغلبت على قطعـة في اوروبا وحدت دينها والزمت المحكومين بالاخذ به واراقت غزير الدم في سبيل توحيد الجامعـة الدينية لئلا تترك بينهم ديناً آخر يوجب النفرة والفتن الداخلية والتداخل الخارجي وقد اعتنت اوروبا بالدين اعتناء غريباً حتى ملأت بكلماته كتب التعليم من اي فن كانت ورسمت الصليب الذي هو الصورة المحترمة ديناً على الملابس واواني الاكل والشرب والبسط والفرش والآلات واوراق الزيارة والمباني حتى على اعتاب الابواب فلا يكاد يقع بصر انسان على شيء الا وعليـه هذه الصورة المقدسة ليكون الدين في فكر الواحد منهم في كل طرفة عين . ولعلهم

ان وحدة الدين اذا انضمت الى وحدتي اللغة والسلطة قامت المملكة على اساس متين اهتموا بنقل الامم الشرقية بطريق التدرج فلم تقهر فرانسا اهل الجزائر وتونس على ترك دينهم كما فعلت اسبانيا في مسلميها عند تغلبها عليهم حيث الجأتهم الى التنصر او الخروج من البلاد وكذلك انكلترة لم تكره مسلمي الهند ولا روسيا قهرت مسلمي طاغستان والتركمان وغيرهم ممن هم في حوزتها وانما التزمت كل دولة ان تعمم لغتها فيهم وان تفتح المدارس لتعليم الابناء على اخلاق الامة الحاكمة وتمنع تعلم الدين الا مبادئ قليلة جدا تموه بها على ضعفاء الادراك ليخرج المتعلمون فارغين من الدين فيسهل نقلهم لأي دين بعد . فان تعرضت امة شرقية لذكر دينها ولو لم تكن محكومة بامة اوروبية نودي عليها بالتوحش والخشونة والهمجية وقيل ان هذا تعصب ديني مع ان التعصب الديني لا يوجد الا في صنع اوروبا ولكن القوة تقول للضعف ما تشا . وقد اخطأ ملوك الشرق هذا الطريق واكتفوا بالفتوح او التغلب على الغير وتركوه على معتقده كما كان يصنع قدماء المصريين والبابليين والفرس والهنود وغيرهم ثم جاء الاسلام فاكتفى من الناس بالاخذ به او الاذعان لملوكه وعند ما نشر جناحيه في الشرق والغرب ترك أمماً كثيرة على اديانهم المسيحية والموسوية والبرهمية والمجوسية والوثنية واعطاهم حرية التعبد من غير ان يتعرض لهم احد من المسلمين وهذه مزية لا توجد في دين غيره . ولكنه لم يجن من هذا الغرس الجميل ثناء ولا شكوراً بل هاجمت اوروبا باجمعها الشام بالنزعات الدينية وخربت دياره واراقت في كل شبر منه دم انسان فجلبت الدمار على مسلميه ومسيحييه واسرائيلييه واصبح فارغاً من معدات العمران محالاً بينه وبين التقدم بسور الفقر الذي بنته اوروبا بيد التعصب الديني . ومع كل هذه الفتن فان اصول ديننا توجب علينا حسن معاملة من غايرنا ديناً ومعاشرة الوطني والمستوطن معاشرة المثيل وان عاملنا بضد معاملتنا له لعدم امكاننا التصرف في اصول ديننا . ولم تكتف اوروبا بتوحيد الدين في بلادها بل عقد الاهالي الجمعيات الدينية وربوا لها ألوفاً من القسوس وبذلوا لهم الملايين من الذهب وبثوهم في الشرق تحت حماية دولهم ورعايتها فجاسوا خلال افريقيا وآسيا داعين الى الدين وقد انحدر الشرق في هذا التيار الذي لا مرسى له ولا مرجع الا

توحيد الدين شرقاً وغرباً . وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق فنامت الامم في زوايا الاهمال وعكفوا على الملاهي يصرفون فيها الذهب والفضة وتركوا العلماء والاحبار والرؤساء يجلسون في المساجد والمعابد والهياكل منتظرين من يقطع البراري والقفار ليتعلم منهم الدين وقد التزموا الطرق البطيئة وصعبوا على المتعلم طريق الحصول على المعارف ولا نعيبهم بالتقاعد عن جوب الاقطار مع ما هم عليه من الفاقة والحاجة الى القوت الضروري وانما نعيب الاغنياء واصحاب الاوقاف الذين ضلوا هذا الطريق وجعلوا اموالهم غنيمة لمن لا يستحقها من نائم في تكية او شموع لمولد او نذور لاضرحة حتى من وفق لرصد شيء للتعليم صودر بما لم يكن في حسابه ولهذا تأخرت المعارف في الممالك الشرقية وعمت الجهالة عوامه واقتصر العلماء على التعاليم الدينية في بعض البلاد وتركت العلوم الرياضية فماتت الصنائع بموت اهلها وعدم بحث الملوك في احيائها وغفلة الامم عن فتح المدارس والمعامل على ذمة الجمعيات الخيرية والتجارية فاصبح الناس يعدون مخترعات اوروبا من وراء العقول وحكموا على انفسهم باستحالة الوصول الى تقدم اوروبا لفراغهم من المبادىء العلمية وبعدهم عن المسائل الدولية

السبب الرابع

لما تمت تربية امم اوروبا تحت احضان ممالكها وجمعياتها العلمية والتجارية ورأت الدول انها لو بقيت على التقاطع والتضاغن مع توحيد الدين بينها صارت عرضة للتفاني في سبيل الاطماع وفتحت للشرق بتخاذلها باب تداخل في شؤونها الحربية او السلمية ولم تجد شيئاً تسد به هذا الباب الا المعاهدات الدولية لتأمن كل مملكة شر جارتها وتلتفت لتنظيم ادارتها فاجتمعت كلمة ملوك اوروبا على حفظ الوحدة الاوروبية من مس الشرق لها مهما تقلبت المسائل الدولية بين ايديهم وعلى توجيه الهمم الى الشرق فتحاً واستعماراً فتراهم اذا هموا بامر ضد مملكة شرقية خابر بعضهم بعضاً فاذا ارضى هذا ذاك وتمت كلمة التداخل والاستيلاء وثبت الدولة العاملة تحت مراقبة اخواتها فان فازت بالظفر فذاك وان خذلت تداركها الكل واوقفوا الشرقية عند حدودها وكلفوها ما لا يطاق . فاذا انتهت من دورها قامت الاخرى لوثبتها التي اباحها لها الاتفاق وعلى هذا

جرت ممالك اوروبا حتى مكنها الوفاق من التغلغل في افريقيا وآسيا . وقد اخطأت ممالك الشرق هذا الطريق الجليل فاستبدلت الاتفاق بالنفرة وبث العداوة بين افراد الامم وانتهت العداوة الى مساعدة دولة شرقيـة لدولة اوروبية على امة شرقية مثلها لاستيلائها عليها وما تشعر انها واقعة في حبالتها بالقوة او بالحيلة المالية ولهذا لا نرى اتحاداً بين ملوك الصـين والهند ولا بين هؤلاء والفرس ولا بين المجموع والترك ولا بين هؤلاء والافغان وبخارى ومراكش وزنجبار وبهذا التقاطع تمكنت اوروبا من التـداخل بين ملوك تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى فبتقاطعهم صارت ممالكهم اجزاء صغيرة في قارتين عظيمتين فسهل الاستيلاء عليها واحدة فواحدة وكل ملك ينظر الحاصل لجاره ولا تتحرك همتـه لجمع الكلمة الشرقية او الاتفاق الدفاعي . وكان لاوروبا اليد القوية في افساد ملوك الشرق وايقاع العداوة بينهم بالاكاذيب الموهمة حتى صيرتهم اشد عداوة لبعضهم من عداوتهم لها بل بتلطفها في الخداع والتمويه صارت محبوبة عند البعض من ملوك الشرق . وعلى هذه الاصول الاربعة بنت اوروبا قواعد ممالكها وبتربية الامم تحت احضانها على هذه المبادئ العظيمة تفرع عن هذه الاسباب اسباب ثانوية كانت قوة على قوة بل صارت مادة الحياة المدنية وتقدم العلم والصناعة واتساع العمران

السبب الاول الفرعي

اطلاق حرية الكتاب في نشر افكارهم بـين الامم لحياة افكار العامة باحتكاكها في افكار العقلاء وبهذه الواسطة ربى الكتاب الامم وهذبوهم ونقلوهم من حضيض الجهل والخمول الى ذروة العلم والظهور ووجدت الدول رجالاً مدربـين لم تنفق في تربيتهم درهماً ولا ديناراً وانما رباهم المحررون والعلماء وقد اخطأ الشرق هذا الطريق لخاف ملوكه من الكتاب والعقلاء فضغطوا على افكارهم حتى اماتوها في اذهانـهـم الى ان جاءت الدولة العربية واطلقت حرية الافكار وجمعت العلماء من جميع الجهات وترجمت كتب الاوائل الحكمية وغيرها وفتحت باباً اغلقه الجهل قروناً طويلة ثم انقضى دور الضخامة وتوحيد الكلمة وجاء وقت المتغلبين فتجزأت المملكة وتصدى الثائرون لقتل العلماء واحراق

الكتب وهدم المدارس فانطفأت انوار العلوم الشرقية وضيق ملوك الشرق على ارباب الاقلام فبات الصين والهند والعراقان وبلاد العرب والجبال والغرب على ما كانوا عليه من عداوة الكتاب ونفي الظاهر منهم او اعدامه حتى الجأوا كثيراً منهم الى الالتجاء لاوروبا وخدمتها بتغرير قومه وتضليلهم انتقاماً او قياماً بحق حاميه من الاعدام ولو اطلق ملوك الشرق حرية التحرير وجعلوا المحررين تحت مراقبتهم وساعدوا المخلص في خدمة مملكته وجنسه واسكتوا المفسد والمهيج لاحيوا الامم التائهة في القفار وبعثوا فيهم ارواح غيرة وحمية تصان بها الممالك

السبب الثاني الفرعي

بهداية الامم الاوروباوية الى المعارف وطرق التقدم تجمع ارباب الاموال منهم لفتح صناديق الاعمال المالية فحصلوا بالسهام القليلة على نقود كثيرة واستعملوها في المعامل والتجارة وساعدتهم الدول فحجرت على مصنوع الغير وتجارته لتروج البضاعة الاهلية وتحفظ الثروة في داخلية البلاد وبهذه الطريقة اتسعت الثروة وارتفع الفقراء الى مقام الاغنياء واصبحت الممالك تباهي بعضها بثروة اهاليها ووفرة ما ليتها . وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق وجمعوا المال لوضعه تحت الارض خبيئة او لصرفه في الملاذ والشهوات وتركوا صنائعهم عرضة للضياع واستعملوا مصنوع اوروبا حتى اماتوا الصنعة والصناع وحولوا ثروتهم الى اوروبا فترى الصانع الشرقي يئن من الم الفقر وهو جار الغني ولكنه لا يشعر بانينه لاشتغاله عنه بالملاذ والملاهي

السبب الثالث الفرعي

لما رأت دول اوروبا ان المخترعات والصنائع النافعة لا تكون الا من فريق الفقراء سنت قانون الامتياز والمكافاءة والشهادات العلية والعملية ونياشين الشرف لتبعث في الناس غيرة المجاراة والمباراة في التفنن والاختراع وكلما اخترع واحد شيئاً كوفئ على اختراعه والتزمه منه الاغنياء وارباب المعامل فكثر المخترعون وانتهت بهم البغتة العلمية الى استخدام البخار والكهرباء واكتشاف العوالم القديمة والحديثة . وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق فخطوا على المخترعين وتركوهم واعمالهم وانكبوا على الاجنبي ومصنوعه واغمض الملوك عنهم عين

الرعاية والاعتبار فقترت الهمم وقعدت عن السعي خلف النافع من بنات الافكار واكتفى كل صانع بالبسيط من الاعمال المتداولة التي لا بد منها لكل امة

السبب الرابع الفرعي

لما رأت دول اوروبا ان الامية ما تمكنت من امة الا عرضتها للضياع والاستسلام الى الغير عممت التعليم وجعلته اجبارياً حتى اصبح الاميون يعدون في ممالكها العظيمة . وقد اعتمدت كل دولة على توحيد التعليم فعلمت الامة الدين وتاريخ الجنس واللغة واخلاقها وعاداتها والقانون المدني الجامع لوحدة الامة وتاريخ المملكة وحقوق الملك وواجبات الدفاع عنه حتى سرت روح الحياة الدولية في كل فرد من افرادها واتسع نطاق الافكار فاصبحوا في حروب فكرية نتائجها الاحياء وامتداد السلطة . وقد اخطاء الشرقيون هذا الطريق فتركوا الامم تائهين في الجهالة العمياء لتوهمهم ان المتعلمين يعارضونهم فيما هم فيه وما صيرهم لذلك الا اسناد بعض الاحكام الى الجهلة وضعفاء العقول . وقد نامت الامم الشرقية تحت ردم التهاون وعدم التبصر حتى مات العلم وأهله وما تحركت طائفة لعقد جمعية تساعد من بقي من العلماء على نشر المعارف وتوسيع دائرتها بل كل غني وامير يحمل الذنب للعلماء لتقاعدهم عن جوب البلاد وجوس الفدافد والقفار وهم يعلمون من شأن العلماء انهم لا يملكون شيئاً من الذهب والفضة وقد حبس الامراء والاغنياء الذهب والفضة وجعلوهما وقفاً للملاهي والملذائذ وكلما هبت عليهم ريح تبكيت قالوا ما اخر الشرق الا العلماء . وبموت أهل المعارف احتاج ملوك الشرق لاستخدام اناس من اوروبا يقومون بهم أود ممالكهم . ومن نظر لجمعيات اغنياء اوروبا وعدم حصر مدارسها في الشرق والغرب ورأى اغنياء الشرق وهم يبعثون اولادهم الى مدارسهم ليتعلموا على قساوسة اوروبا امور دينهم ودنياهم سفه احلامهم وايقن انهم العلة الوحيدة في تأخر الشرق عن اوروبا فالفقير العالم ماذا يقول والصانع المعدم ماذا يصنع والعاقل المحتاج ماذا يعمل وكلٌ يحتاج الى المادة ولا مادة الا جمعيات الاغنياء والامراء واتجاه الملوك اليها بالعناية والمساعدة المادية والمعنوية

السبب الخامس الفرعي

لما رأت ممالك اوروبا كثيراً ما يقعون في خطاء الرأي بالانفراد فيه احدثوا مجالس الوزراء والشورى التي تقيدت بها الممالك ظاهراً فالقت اوزارها على عواتق أعيان الاهالي ومنتخبيهم لتستمد من افكارهم ما به يحسن النظام وتبقى المملكة حية بحياة قواها العاملة وصار للامم الثقة بملوكهم ووزرائهم لعلمهم انهم لا يصرفون شيئاً ولا يحدثون عملاً ولا يبرمون أمراً الا بمشورة نوابهم وبتبادل الافكار بين الوزراء والنواب ظهرت ثمرات عظيمة واشتد عضد الدول وعظمت قوتها واتسعت تجارتها ومعارفها وكثر المرشحون للاعمال والادارات العالية بالتربية في المجالس . وقد اخطأ الشرقيون هذا الطريق بسبب الجهالة التي عمت الامم الشرقية فلم يكن عند ملوكهم ثقة باعيانهم ووجهائهم ولا يحبون كثرة العقلاء خوفاً من التغلب الذي يحلم به كل ملك شرقي وهو وهم لا حقيقة له ولذا تراهم اذا نبغ في ممالكهم اناس وضعوهم تحت سوط التضييق حتى يبغض الغير طريق العقلاء والنبهاء فراراً من الوقوع فيما وقعوا فيه من البلاء والعناء

السبب السادس الفرعي

انتجت تربية الامم على المعارف احداث اندية السمر والتجارة فاتخذت المجالس المديدة لاجتماع أهل الافكار ممتزجين ببعض الضعفاء لينقلوا عنهم ويتربوا تحت احضانهم وفي تلك المجالس تدور الاحاديث على الامم والممالك وأعمال الملوك واخلاق العالم وتاريخ العمران فكانت هذه المجالس روحاً ثانية في جسد المملكة المتحرك بروح الوزراء والنواب والعمال وقد علم الملوك حسن مقاصدهم فلم يضيقوا عليهم بشيء يحول بينهم وبين مدارسهم الادبية . والشرقيون اخطأوا هـذا الطريق وجعلوا مجالسهم قاصرة على الغيبة والنميمة والسعي في اذية فلان ومماكسة علان والتحاسد والتباغض وتقبيح بعضهم بعضاً واللهو واللعب وانقطعوا عن العالم بالمرة . ومنهم من اقتصر على الاقامة بين أولاده . ومنهم نفر قليل اشتغلوا بالمعارف واضطرهم تيار المجتمع المدني الى الانحدار معهم في غالب الاوقات وقلّ ان يجتمع جماعة للبحث فيما ينفع الامة او الدولة لعلم العقلاء ان ابحاثهم غير معول عليها ولا ملتفت اليها لانصراف معظم الامـة الى الشهوات . فهذه هي

الاسباب التي قدمت اوروبا ونشرت ألوية التقدم في جميع جهاتها وبالوقوف عليها عرفنا العلل التي اخرت الممالك الشرقية على اختلاف مواقعها واوقعتها في فخاخ اوروبا وعلمنا ان الدين الاسلامي والاديان الشرقية لم تكن السبب في التأخر كما يزعم كثير من الطائرين حول دهاة اوروبا بل ان الدين الاسلامي كان السبب الوحيد في المدنية وتوسيع العمران أيام كان الناس عاملين باحكامه . والجو هو هو الذي كان فيه المتقدمون من المصريين والفنيقيين والفرس والهنود والعرب والترك وقد تحققنا ان التأخر انما جاء من تعميم الجهالة باغضاء الملوك عن وسائل التعليم والتضييق على ارباب الاقلام والافكار وبعد الاغنياء عن الجميات وتقاعدهم عن ضروب التجارة والصناعة والزراعة ورضاهم بالبقاء تحت اسر الشهوات فاذا اطلق الملوك حرية الافكار والمطبوعات تحت المراقبة وبذل الاغنياء الذهب في حياة الصنعة وتعميم المعارف في المدن والقرى ومساعدة العلماء على الرحلة خلف حياة العلم واجتمعت كلمة الملوك والوزراء والامم على السعي خلف التقدم امكنهم ان يوقفوا تيار اوروبا شيئاً فشيئاً حتى يضارعوها قوة وعلماً . والا اذا تركوا هذه الاسباب وبقوا على ما هم فيه من التقاطع والتحاسد والجهالة كان من العبث تجمعهم في الاندية وتمشدقهم بقول بعضهم لبعض بم تقدم الاوروبيون وتأخرنا والحاق واحد

اشتات الشرق وعصبيات اوروبا

من نظر في تقدم الشرق في الاعصر الاول قوة وعلما ومدنية وتأخره مبتدئاً بالتقهقر من اربعة قرون مضت قال ما لهذه الامم العظيمة صارت كتفاريق العصا ورجعت شعوبا وقبائل وبطونا وافخاذا وانزوى كل فريق في قطعة من الارض اتخذها وطنا فيها ولد وتربى وان سرت فيه حمية آبائه عنها يدافع وفي احيائها يموت وبتمدد الجوامع الشرقية من جنس ولغة ودين ووطن نبذوا الوحدة الاجماعية ظهريا ومالوا مع الاهواء وجعلوا المنافع الذاتية والسطوة الشخصية وجهة فانحلت العرى التي ربطها الجنس العربي الذي دك كثيرا من عروش اوروبا وجلس على كثير من كراسي ملوكها واذا نادى تلك الجموع الخاضعة اليه سمع لبيك لبيك الجواب العربي ممن جوابه سي سي او وي وي

وطرد جياده من تهامة فسمع صهيلها في ليون من اراضي فرانسا وفي جميع اراضي اسبانيا والبورتغال وصقلية ونابلي وجزائر البحر الابيض وسمع صداه في خط الاستواء والممالك الهندية والفارسية والتركية والتركمانية وان شئت فقل لم تبق أذن في آسيا وافريقيا الا وقد سمعت صهيل خيل الفريق العربي حتى لهج كل ناطق باسم الارب او ارابو. ولتجرده من الانفعالات النفسية وتحركه بروح الدين وقوة الملك سوّى بين عربيٍ وتركي وفارسي وهندي وقبطي وشامي بل بين كل افريقي واسيوي وضم الجموع تحت نظام واحد يرجع اليه رجوع الابناء الى ابيهم فاختلفت المشارب والمذاهب وتوحدت الوجهة الملكية انتظاما واستيطانا ودفاعا فكنت ترى في المسلمين سنيين وشيعيين وخوارج ومعتزلة ودهرية ومعطلة ودروزا وكل قسم من هذه الاقسام يشتمل على مذاهب شتى وترى في النصارى الروم الكاثوليك والارثوذكس والمارونية والاروسية والانجيلية وفرق اليعقوبية والنسطورية واليسوعيين وما في كل مذهب من الفروع والشعب وترى في اليهود الهارونية والموسوية والقرابين والسامريين وما في كل قسم من الفروع والاحكام المتغايرة وربما رأيت كل هذه الاديان باقسامها وفروعها في بلد واحد يجري كل انسان في طريقه الدينيّ غير معارض في شيء من أصوله او فروعه او عاداته فاذا انتهى من العبادة عاد الى المجتمع الملكي وانتظم مع حزبه يؤيده برأيه او يساعده بما له في الخصائص والمزايا فاذا سمع الصيحة الجامعة انضم مع عصبيته الى مجموع العصبيات الشرقية وطوى الخصائص المشربية تحت بساط الحاجة حتى يفرغ من صيانة الوطن والدفاع عن الملك ثم يعود الى حزبه يشتغل معه في صالح الوطن والمنفعة العامة من طريق المشرب الخاص تحت عناية عظيم يدبره وعاقل يرشده فكنت ترى المسيحي والاسرائيلي يقاتلان مع المسلم من ماثلهما ديناً دفاعا عن الوطن وشرف الملك لاستوائهما معه في الجوامع الوطنية والقوانين الملكية . وهكذا الشأن في كل اقليم وبلد . والقائمون بامور الامة يربون الرجال تحت حضانتهم باحتكاك الافكار والمشاركة في الاعمال وترقية الاهلين الى الرتب العالية بعد التجربة والاختبار والتمرين على شاق الاعمال والتربية في الادارات المختلفة المواضيع . وبهذه العصبيات ارتفع كثير من العقلاء

الى رتب الوزارة والقضاء وولاية الاقاليم باصوات حزبه او جملة احزاب تؤيد مبادئه وترجو حسن غايته وانحط كثير ممن تحولوا عن الوجهة الوطنية والحق الدولي بسعي الاحزاب المخالفة لحزبه . والمدقق الخبير يجد هذا الاختلاف ظاهريّ الصورة يرجع الى غاية متحدة هي وقاية الوطن والملك. وعند مخالطة الاوروبيين للشرقيين في الحروب الصليبية التي عادت على اوروبا بكل خير ومنفعة اخذوا عنهم هذه الطريقة السياسية وانقسموا احزابا بين حرّ ومحافظ وجمهوري وملكي وكوني ونهليست وسوسيالست ومتطرف ومعتدل واتخذت كل عصبية وسيلة تتوصل بها الى حياة الامة وصيانتها وحفظ الوطن وامتداد سطوة الدولة ونفوذها في التخوم وما يصلح للاستعمار فاختلفت الوسائل وتعددت العصبيات مع اتحاد الوجهة فكان للمجموع مبدا يبني عليه اعماله التي يريد الوصول الى غايتها وترقت هذه الافكار عاما فعاما حتى انتهت بهم الى انتخاب الوزراء باصوات العصبيات وعظمت ثقة الاهلين بالحكومات المقيدة باصواتهم فنفذت في اقاليم كثيرة وممالك متباعدة ووضعت بيت الملك على اساس متين اذ صارت وقايته مفروضة على العصبيات بالمسابقة الى التقدم الملكي . ولم يجر المجموع تحت حكم وزير يستعملهم آلة في تنفيذ آرائه بل اتخذ كل فريق رئيسا عاقلا مجربا محنكا وعلموا مبادئه وغاياته فصاروا اعضادا ينصرونه ويؤيدونه وينادون به في الانتخابات وينبهونه على الاغاليط ويساعدونه على امتداد نفوذه المؤيد للدولة بكل ما يقدرون عليه وكل رئيس يربي رجالا يخلفونه اذا انقضى دوره ويمدونه بآرائهم اذا قبض على زمام الاحكام . وبهذه الوسائل المحكمة عظمت ثقة الملوك بالوزراء فاسندوا اليهم الاحكام موقنين انهم يحافظون على الملك اعظم من محافظتهم لو استقلوا بالحكم والادارة حتى انهم لو عينوا سفيرا او قنصلا في جهة قالوا له ان سلفك وقف عند نقطة كذا الدولية فاذا لم تتمكن من التقدم عليها فاجتهد في محافظتك على ما وصلنا اليه بهمة غيرك . ولهذا لا ترى دولة اوروبية تتقهقر في الشرق او في جهة اوروبية الا بقوة عظيمة مشكلة من مجموع دولي . وفي مقابل هذا الاتقان البديع مع علمنا بما عليه عصبيات اوروبا لم نزدد الا تقهقرا باعراض رجالنا الشرقيين عن تربية الخلف والاعضاد ونوم الافراد تحت ردم الغفلة او الخوف

الوهمي فلا نسمع الا عزل فلان وأسند امر الوزارة الى فلان في الآستانه اوطهران او مصر او مراكش او تونس واذا بحثنا في المعزول والمولى رأينا كلا منهما لا يقول الا برأيه ولا يعتمد الا على قوته العاقلة وتدبيره الذي كثيرا ما يراه أحدهم صوابا وهو خطأ عظيم ونرى حول كل وزير ووال ومتصرف ومدير ومفتش ومأمور زمرا توسم بالمحاسيب وهي اخلاط من الغوغاء والرعاع يستعملهم مع الجهل في الادارات والوظائف فيعيثون في البلاد عيث الذئب في الغنم المهملة فاذا عزل احدهم جاء الثاني بمحاسيبه وطرد السابقين ووضع جماعته مكانهم فيفعلون فعلهم غير مبالين بسوء ما يرتكبونه لعلمهم ان المنتهى الى من لا يسألهم عما يفعلون وبهذا ضاعت المصلحة الوطنية وتوزعت في الشهوات والاهواء وصرنا نعد العقلاء ثلاثة او اربعة في الاستانة واثنين او ثلاثه في مصر واذا رأينا تخلخل وزارة اخذنا نهجس ونخمن فيمن يكون بعد الحاضر لعلمنا انه لا يوجد من المرشحين المؤهلين لهذا المنصب الا فلان وفلان وهما لم يربيا احدا مدة توليهما الاحكام حتى يخلف الواحد منهم آخر من مشربه فيسير بسيره ليتم عمله الذي كان مشتغلا به وانما كنا نرى هذا يشتغل بوضع اللوائح والنظامات وترتيب الاعمال والعمال واحكام العلائق بين حكومته وغيرها ويسعى في توسيع التجارة والصناعة والزراعة بطرق سهلة وقبل ان يتم عمله يعزل ويخلفه من يخالفه مشربا فيهدم ما بناه ويفسد ما احكمه ويغير نظامه ويأخذ في مجاراته باحداث اعمال تنسب اليه ويشتغل بما اشتغل به سابقه وقبل ان يتم عمله يعزل ويأتي غيره على هذه الطريقة . وبهذا السير اختلت ممالك الشرق وكثر فيها الفساد وتمكن الاجانب والدخلاء من الرؤساء الذين لم يربوا احدا من اهل بلادهم وخافوا من العقلاء من قومهم وظنوا استخدام الدخيل يقيهم فتنة الرعايا ويؤيد سطوتهم فيهم فاكثروا منهم فجاؤهم بالمصائب ولكننا اذا قابلنا اعمالهم باعمال رجال اوروبا وجدناهم في خطا عظيم وقد تحملوا مسؤلية امم عظيمة باهدارهم طرق الاصلاح . واننا نرى الآن المشابهة سرت في رجال الشرق فاخذوا يحاكون اوروبا فيما به يفرون من اسم الهمجية والتوحش وسعوا في جمع كلمتهم وعقد الجمعيات لفتح مدارس العلوم والصنائع وتهذيب النفوس وتعميم الآداب ولكنهم مع بقائهم على التفريق وعدم

اتخاذ مبدأ يبنون عليه اعمالهم لا تزال الايام تقيمهم وتقعدهم وهم حيارى بين المقعد والمقيم . فلا بد ان يكون لكل عصبية وزير مدرَّب يرجعون اليه فاذا اسندت اليه وزارة عاضدوه وساعدوه وبثوا مبادئه وتعاليمه في العالم المحكوم ليقروا بذلك أعماله الداخلية والخارجية فاذا خالف مبادئهم انضموا الى العصبيات الاخرى وعارضوه برفع أعماله المختلة الى الملك أو الامير حتى يغير وجهته أو يتخلى عن الوظيفة ويتولاها آخر له مبدأ وطني أيضاً تؤيده عصبية أخرى تحت مراقبة العصبية الثانية كما هو حاصل في بلاد الانكليز الذين تخللوا ممالك الدنيا باعمال حزبي الاحرار والمحافظين واحكام سيرهما في توحيد الوجهة الملكية مع اختلاف الوسائل المؤدية الى المقصد الاجماعي . نعم ان الاستانة ومصر ليستا متأهلتين للانتخاب وحرية الافكار كما ينبغي ولا تتوسع الحكومة باكثر مما هو حاصل الآن ولكن اذا اجتمعت الامة على مبدأ وطني دولي غايته حفظ كرسي الملك الامير الاعلى وعقدت اجماعها على الخضوع اليه والرضوخ لاحكامه وتأييد مبادئه وتعضيد مقاصده وحفظ النظام الذي يبثه فيها وربطت عزائمها على حفظ مركزه ووجوده في منصة حكمه مؤيداً باتحاد الامة معضداً بانقيادها مسروراً بما يراه من الامن وحسن المخالطة والمعاشرة امكنها ان تعطي لجماعة من الامراء جانباً من الاعتماد على هذا الاتحاد والثقة بصالح نية العصبيات فاذا علم الوزير منهم انه مسئول بين يدي عصبيته عن أعماله وهم يرون ان غيرهم يراقب أعمال رئيسهم انبعثت في الوزير حمية الخدمة الوطنية وتقوّت افكار عصبيته في مراقبته وبحث أعماله وتنبيهه على كل ما يؤاخذ به أو يلام عليه أو يوجب سقوطه من منصبه . وهذه الاماني وان كنا لا نثق بالوصول اليها تماماً في عصرنا ولكننا اذا بدأنا بتأسيس المبادئ وتخصيص العصبيات وجرينا على ذلك الهوينا جاء من بعدنا على نظام لا يكلفه الا القيام بما فيه . وهذه العصبيات والاحزاب لا يمكن تكوينها الا من الوطنيين الذين دفنوا اجدادهم في البلاد فهم يخافون ان تطأ خيل الغرباء تلك القبور الحافظة لعظام المجد الوطني والشرف الملكي ففي مثل بلاد الدولة العلية غير الممتازة تتكون من الترك والعرب والجركس والكرد والارمن وفي مثل مراكش والجزائر وتونس تتكون من العرب والافريقيين وفي مثل مصر تتكون من المسلمين والاقباط

والاسرائيليين وفي مثل طهران تتكون من الفرس والكرد وهكذا تتكون العصبيات من أهل كل وطن ويعقدون عزائمهم أولاً عقد اجماع على تقديس مناصب الملوك والامراء ثم يبحثون فيمن يمشي بهم في طريق حفظ الملك أو الامير من كل ما يمس اي حق من حقوقه المقدسة . ولا يفهم غبي من ذكر العصبيات والاحزاب ان المراد عصبيات افساد أو احزاب فتن وحروب فان ذلك محض الجنون لاننا محاطون بدول اوروبا وان كنا في قطعة شرقية وقد امتلأت بلاد الشرق وممالكه بالاوروبيين متجرين وسائحين ومعلمين وصناعاً ومع هذا الاختلاط القاضي بالمحافظة على الامن والراحة فان افتراق ممالك الشرق واختلاف كلمة معظم أهله يقضي عليهم بالعدول عن كل فتنة توقعهم في حرب اوروبية لا يقدرون على اقتحام عقباتها لاتفاق ممالك اوروبا عليهم واختلاف ممالكهم الشرقية مع فقد المعدات والمواد الحربية واذا كان ذلك مرسوماً بين اعين العقلاء منا استحال تصور التجمع لفتنة أو لمماكسة دولة اوروبية وتعين فهم مجاراتنا لاوروبا في اتخاذ طرق المدنية . خصوصاً ونحن معاشر المصريين بين يدي أمير سكنت محبته قلوبنا وتخللت اجزاء ذواتنا وتعلقت آمالنا بهمته العالية وافكاره المنيرة ولكننا لا ننسى اننا تحت مراقبة دولة عظيمة تسعى في تقدم مدنيتنا وتوصيلنا لمعرفة حقوقنا الوطنية وتبذل جهدها في نشر التعاليم الاوروبية في انحاء بلادنا وتفتخر وزراؤها وكلاؤها بانهم اوصلونا الى المدنية وعلمونا كثيراً من طرق الاصلاح التي كنا نجهلها ونبهونا للمطالبة بحقوق خديوينا المفخم ووطننا العزيز وارشدونا الى طرق حرية الافكار والمجامع فعملاً بهذه العلوم النفيسة واتباعاً لنصائحها واقتداء برجالها ينبغي ان نقابل سعيها بالتظاهر أمامها بثمرات اتعابها ليكون فخرها بين الدول بنشأتنا الوطنية وعصبياتنا المصرية اكبر واعظم وليعلم العالم المدني الاوروبي انها وعدت ووفت والا فان بقيت على اجتهادها وبقينا على تقاعدنا كنا علة لما نحبه ولبسنا ثوب عار بين الامم واصبحت الدولة المراقبة لنا تبكتنا وترمينا بفساد الاخلاق وجبن الطباع وعدم الاقتدار على الاختراع فعلينا معاشر المصريين خصوصاً والشرقيين عموماً ان نبحث في طرق احزاب اوروبا وروابطهم وكيفية سيرهم وموجب استمرارهم على ما هم فيه ونقلدهم بسير لطيف واعتدال في الحركات والسكنات

مع لزوم الهدو وحسن الانقياد والمحافظة على حقوق الاجانب والنزلاء والانتباه لدسائس الدخلاء وفتن الاجراء ولتكن لكل فريق جرائد تنشر اعماله وتؤيد اقواله وتبين له دسائس بقية الجرائد وتنبهه على ما يجب اتخاذه مما تراه صالحاً آخذة افكارها عن مجموع اعمال الحزب اوآراء عقلائه بحيث تلزم مشرباً لا تحول عنه بتحول الاحوال ولا تتلون امام حزبها بتلون المطامع ولا يلزم من اختصاصها ان تكون مضادة لغيرها من الجرائد في كل ما يكتب فيها فان الجرائد مدارس الافكار ومعارضتها اقفال لباب التعلم الادبي وانما تحافظ على مبادئ حزبها وتجاري الجرائد في المقالات العامة والافكار النافعة والا اذا تركت الاحزاب والجرائد وأخذت بالقبول من غير بحث في مصدره وما تحته من الدسائس تحول مجرى سيلها الوطني الى الاودية الاجنبية ووقعت في اشراك اوروبا وهي لا تشعر ولتكن المجامع مطهرة من ذوي الافكار الفاسدة محفوظة من الطائرين خلف المحسنات الاوروبية مصونة من التخاذل والتباغض متعلقة برئيس لا يختلف في استحقاقه للرياسة اثنان فاننا ان فعلنا ذلك قالت اوروبا قد عمت المدنية واستوى فيها اشتات الشرق وعصبيات اوروبا

إِنَّمَا يَقْبَلُ النَّصِيحَةَ مَنْ وُفِّقَ

ايها الشرقي — نمتَ حتى اذا سمعتَ الصيحة تنبهت ولكني اراك مذعوراً مدهوشاً وقد اختلفت كلمة الدعاة فاذنك ملأى بعبارات متناقضة وافكار متضاربة وانت متردد بين المنافقين وطبيعتك المائلة بك الى مماثلة الاجناس علماً وشرفاً . لا تيأس فان معك من اخوانك الوفا من الافاضل العقلاء والملآء الذين ينفقون اموالهم في سبيل الصلاح والاصلاح والبلغاء الذين اقاموا انفسهم خدماً بين يديك ليرشدوك الى سواء السبيل والاستاذ اضعف اخوانه الشرقيين واحوجهم الى الاستمداد من افكارهم العالية احب ان يكون خلف الناصحين ليخدمك بقدر ما يمكن ويبين لك بعض ما اقتبسه من حكم اخوانه واكتشفه من خفايا وضمائك المصطنعين فاسمع وقيت الشر وكفيت السوء — احسن ما اتخذته قاعدة تبني عليها تقدمك الهدو والسكون والبعد عن اهل الفتن . وافضل

اساس تضعه لعمار بلادك تعاونك باخيك على تمهيد طرق التقـدم . اياك ان تظن ان التقـدم موقوف على ثورة تريق فيها الدماء فان من زين لك هـذا العمل فقد اضلك واسلمك الى الغير . لا يتوقف التقدم الا على قطع الاضغان وترك التنافر بالدنيئات وجمع الشتيت مما تفرق من الاجناس الشرقيـة ولا يكون ذلك الا بالتربيـة على الآداب ومكارم الاخلاق . وليس القصد بهـذا الجمع ان تثور في وجه الاجانب مزحزحاً لهم عن اوطانك بل القصد ان تشابه الاجنبي في سعيه العلمي والتجاري . ولا تنظر لسوء تأخرك فتيأس من الوصول الى التقدم المطلوب واعمل من الاعمال ما يكون كالأساس لمن يأتي بعدك فتكون كمن غرس لغيره يجني والفضل للغارس . والا فانك ان دخلت باب اليأس وانت انت فكراً ونظراً جاء من بعدك قانطاً مستسلماً لاهل التقـدم استسـلام ضعف وذلة . واذا رأيت مصرياً او سورياً او تركياً او هندياً او فارسـياً او مغربياً يوقع النفرة بينك وبين جنس شرقي كأن تكون مصرياً وترى شرقياً ينفرك من السوري او التركي فاعلم انه اجير يشتغل لغيره ويريد ان يأكل خبزه مؤتدماً بدمك ان اهاجك للفتنة او بثروتك ان اسلمك الى الغير بشقاشقه . فلا تغرنك عبارته العربيـة ولهجته الشرقية فما هو الا شرك نصب لتصاد به فاضرب بما يسميه نصحاً ووعظاً حائط الاهمال والاهدار واستمسك بمحبة اخيك السـوري او التركي او الفارسي او غيره فما رجعك عن طريق التقدم الا اغترارك بالمصطنعين واقوالهم . واذا كنت في مصر ورأيت من يميل لمس حق من حقوق اميرك الخديوي الافخم ويوهمك ن صالحك موقوف على ذلك فارفض قوله وحذر قومك منه فانما هو خادع غاش بل عدو مبين واستمسك بحبل الانقياد الى اميرك واملأ باطنك بحبه واخلص في خدمته فلا حياة لك الا بحياة سلطته ولا شرف لك الا بشرف وزرائه الحافظين لنظام حكومتـه . وان رأيت تركيا يستهيج سوريا او سوريا يحرك شامياً فابذل لهما النصح وذكرهما بحاجتنا الى السـكون وقطع عروق الفتن الداخلية وبعدنا عن كل مايوجب تداخل الغير في شؤننا . واياك ان يحملك الطيش على ان تسيء معاملة اجنبي استوطن بلادك او اجتاز بها فتجلب الدمار على بلادك بل عامل كل مستوطن في بلادك بالحسنى فان اوروبا لا تلتمس من الاعذار

عن تداخلها في الشرق الا دعوى همجيتنا وعدم استعدادنا للقيام امامها بعواد العمران وضروريات المدنية فان اسأت اجنبياً مستوطناً بلادك فقد قويت دعواها وساعدتها على فتح باب التداخل . وان رأيت من يطمن في سلطانك او يستميلك الى غيره من الشرقيين فاعلم انه اجنبي وان اتصل بك نسباً وقرابة . وما ضر الشرق وفرق جمعه وبدد ممالكه الا امثال هذا فاقرب من الافعى ولا تقرب منه فانه تاجر يتجر ببيع الارواح بثوب او لقمة . ولا ازال اكرر عليك لزوم الهدو والسكون وحفظ حقوق الوطنيين والغرباء والاجانب واستعمال الرفق واللين مع الجد في احياء العلم والصنعة وتقدم الزراعة في مثل مصر التي وقفت ثروتها على خدمة تربتها . واعلم ان افاضل الشرق ليسوا قليلين حتى نستبعد الوصول الى معارف اوروبا او الى مبادئها ان قصرنا ولكنهم يحتاجون لشدة ازر بعضهم بعضاً في فتح محال التعليم وتكثيرها في المدن والقرى . فاجتهد في تعليم الابناء ودع العلم يطالب بمجد الجنس وشرف الشرق فالبعثة العلمية خير من البعثة الحربية ولا شاهد اكبر مما نشاهده من قوة اوروبا بقوة علمائها . هذه نصيحتي الى كل شرقي سمعها مسلماً كان او مسيحياً او اسرائيلياً او غيره

باب الادبيات

يا آل بيت المصطفى اني لكم * عبد لما قلدتموني من منن
ماسرت قط الى عظيم راجياً * الا اليكم فالرجا فيكم حسن

واحد في خلقه فيه انطوت * وحدة الافعال من باري الرماح
سره في كل ذات كامن * يصقل العقل فلا تهوى الجماح
جنة فيها لارباب النهى * نور نعمى حوله نور الاقاح
كعبة طاف بها الارواح في * عالم الذر ولبت بارتياح
رفرف من تحته حجب علت * في ذرا الافلاك والأجوا الفساح
قاسر دارت به الافلاك في * ساحة ما طار فيها ذو جناح
حامت الارواح في اشباحها * حول معنى دونه ضرب الصفاح

صدق النبي اتى به * وحي تنزل م السما
فالله قال لقـومه * ماضل صاحبكم وما (غوى)

اعلم ان المرء يلقى سعيه * يوم الجزا ابداه او اكنه
وان للرب العظيم المنتهى * وانه وانه وانه
وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيي وانه خلق الزوجين الذكر والانثى

تنهد من جواه فقيل انا * وشبب بالعقيق فقيل حنا
اذا كان الانين يعد ذنباً * فكيف بفاتك قتل المعنى
برزتم كالشموس بغير ستر * وصرتم تعجبون اذا فتنا
لو انا قد لثناكم عذرتم * وماذا غير قتلتنا لو آنا
اسرنا معشر العشاق حزنا * غدرنا دون من نلقاه هنا
خرجتم للرياض فكل غصن * للثم نعالكم ادباً تثنى
وعود السرو لما ان رآكم * تمثل قائماً والورد هنى
ومال النخل يتحفكم بنثر * من الياقوت والكرم اطمأن
وحياكم من التفاح خد * اسيل ورده بالثغر يجنى
وضم الفل للتقبيل فاه * ولكن ما اجيب ولا تهنى
وحيا حي عالمكم بلثم * لترب النعل لما صار ادنى
وقام الموز يرفع في يديه * شماسى كي يظللكم بمعنى
ومدّ الباع عناب واوما * بانملة مخضبة بحنا
وقام قرنفل بالكاس يسقي * رحيق الطل واللوز استكنا
وست الحسن قد القت ازاراً * تزركش بالزمرد فوق مغنى
ورمان الرياض غدا يهادي * بحق الماس مقفولاً فاغنى
وقام التين يشكو فقر حال * ومد الكف يطلب ماتمنى
وقامت قشطة تهدي حليباً * لطيفاً قد حوى زبدا وسمنا

وعلقت القناديل ابتهاجاً * باغصان فصار الروض زينا
وصاح الماء يمدحكم ولكن * للطف فيه لم يظهر وكنى
وطار النسر خوفاً من نبال * تفت الصخر والشجر ورغى
اذا حن الجماد وهام طير * فلا تعجب اذا الانسان جنا
عشقناكم عشقناكم فصولوا * وتيهوا واهجروا بالعشق دنا
اذا جاء العذول فوشوشوه * والا فاجهروا همنا شهرنا
قطفنا ورد خدكم جهاراً * ومن خمر المراشف قد سكرنا
وعربدنا بتقبيل وضم * ومزقنا اللثام وما جبنا

دع عنك لومي في شيء خصصت به * وانظر لنفسك تعذر مثلك الجاني
فتركك الشيء لايعنيك منقبة * بل ذاك للمرء يدعى حسن ايمان

طأ حامي الصخر في الرمضاء ممتطيا * ظهر الثبات ترد الصعب للذُّلل
كم جاء قبلا ملايين مملينة * وليس في الصحف غير الحر والبطل

انظر لما تبديه من فعل يرى * فعل الرجال لعقلهم عنوان
والناس شتى في التنافر والمرا * والكل ان الفهم انسان

سلوا السيوف من الجفون تدللا * فمن اهتدى بجمالهم لهم نحر
وتعلموا بقدودهم في تيههم * طعن المدرع في فؤاد المعتجر
وضعوا على الياقوت طلسم فضة * سموه من عجب لثام المختمر
وتكحلوا بالليل في اجفانهم * وتلثموا بالصبح من حسن شهر
وتدرعوا في حربهم بعفافهم * شأن الكريم مع الشجاع المنكسر
اسروا جنود غرامهم بجفونهم * ومحارب الغزلان يعذران اسر
نظم اللئالي في ثغورهم حوى الـ * ـحسن الذي في كل ذي حسن نثر

شهودي على دعوى الغرام عدول * فيلي لتجريح المذول عدول
فقلبي يزكيه اصفرار وعبرة * وجسمي يزكيه جوى ونحول
واقلام جفني فوق خدي سطرت * كتاباً به ما في الفؤاد يصول
وقاضي الهوى امضي بعشقي حجة * وحدد فيها ما اليّ يؤل
لحدى من شرق الغرام صبابة * وحدى من غرب الهيام ذهول
ومني الى حر الجنوب تولهٌ * ومني الى برد الشمال ذبول
وفي باب هذا البيت قاعة عبرة * ومخزن حزن للهموم طويل
ومنه الى حوش التيتم طرقة * بها لوفود العاشقين وحول
وفي الحوش باب فيه سلم حسرة * وصالون هجر للشوق مهول
وفيه على الخط اليمين مواقد * بها الكبد والاحشاء ثم نزول
وعند شمال الداخلين مناظر * بها مهجتي وسط الظلام تحول
وفي الصدر حمام تزايد حرها * وليس بها غير الدموع غسول
وقد شهد المحبوب ان محبه * يحل له في ذا المكان حلول
وحرر هذا في محرّم وصله * وسجله يوم الفراق عذول

ما قام حظي وعمري في شبيبة * وان يقم بعد شيبي كان كالعدم
ما في المشيب سرور لو أرى ملكا * وان يكن قصرت عن دركه قدمي

واخجلتي من اربعون قطعتها * لعبا وقد سبق النديم نساء
وليّ الشباب وصحتي في زهوها * واتى المشيب وبنيتي حنواء
لا في الشباب عملت ما يرضي ولا * وقت المشيب يرى النشاط عساء
اعريت افراس التقى فتأخرت * فالسبق لا تجرى له الاعراء
لو اسرجت بلغت مدى مضمارها * سبقا تجري المذكيات غلاء
من لى بذا والنفس في بحر الهوى * يجرى بها التسويف والمدواء
نسبي مظاهره مطالع للتقى * لكن اعمالي بها استرخاء

أأجى ممن اشرعوا طرق الهدى * واعقهم ما هكذا الابناء

يا سيد السيدات قلبي خائف * مما يرى العاصون في الميعاد
انا منهم فالنفس كم شطحت على * أرض الضلال وماصبت لرشاد
اجهدتها في الغي يا ليت النهي * رد الشريدة باجتهاد جهاد
سودت صحفي بالذنوب وقد علا * عين السواد اختلاط سواد
ما كان في الآباء مثلي مسرف * فالكل كانوا قدوة السجاد
خالفتهم جهلا وسرت مغورا * اذ سار منجدهم مع الاصماد
وأتيت بابك فارغا من كل ما * يرجوه وفد الخير والزهاد
ما في الفؤاد سوى محبتك التي * هي جنتي حصني شرابي زادي

اترك النفس والورى وتعالى * تلق من جل شأنه وتعالى

﴿ انتهى الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث ان شاء الله ﴾